المِنَحُ الإِلهِيّةُ لخَيْرِ الْبَرِيَّةِ ﷺ

في ضوء سورة الضحى

بحث بقلم

د/ أيمن صبحي سيد أحمد صديق

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليما كثيرا.

وبعد، فقد مَنَّ الله – تعالى – على المؤمنين بأعظم مِنَّة، وذكَّرهم بها في قوله – تعالى –: ﴿الْقَمَرِ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ﴾[1].

فرسول الله ﷺ هو المنة العظمى؛ لأنه إمام الأنبياء والمرسلين، وقائد الغر المحجلين، وسيد الأولين والآخرين، الشافع المشفع، صاحب الوسيلة والفضيلة، والمقام المحمود والحوض المورود، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وتكفل بحفظه وعصمته، وبحفظ دينه، وأقسم به، وبحياته، وببلده، وأقسم له ﷺ .

وقد تحدث القرآن الكريم عن الرسول ﷺ، وبيَّن منزلته الرفيعة، ومكانته العالية، وذكر المنح والمنن التي مَنَّ الله بها على رسوله ﷺ.

ومن السور التي تحدثت عن المنح الإلهية التي مَنَّ الله بها على خير البرية ﷺ: سورة الضحى، ففيها يقسم – سبحانه وتعالى – على أنه ما ودع رسوله وما قلاه، ويخبر رسوله ﷺ بأن الآخرة خير له من الأولى، ويعده بالعطاء الرباني الذي يرضيه، ثم تتحدث السورة الكريمة عن بعض المنح الإلهية له ﷺ فتذكر أن الله – تعالى– آواه في يتمه، وهداه من ضلاله، وأغناه بعد فقره، فمن فعل ذلك لا يتركه في مستقبل أمره ﷺ .

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤

وهذه منح ونعم مَنَّ الله بها على نبيه ﷺ؛ ليُذَكِّرَه بها، وينبهه على شكرها، وليبين لأمته ما للرّسول ﷺ من الشرف والمنقَبَة، ويرشدهم إلى عظيم قدره عند ربه.

ومن ثم رأيت أن أكتب بحثا في هذا الموضوع تحت عنوان: (المنح الإلهية لخير البرية في ضوء سورة الضحى).

وقد سلكت في هذا البحث المنهج التحليلي والموضوعي، وقسَّمته إلى مقدمة وتمهيد وستة مباحث وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره وخطة البحث ومنهجه.

التمهيد: في التعريف بالسورة الكريمة.

المبحث الأول: القسم له ﷺ على أن ربَّه ما ودَّعه وما قلاه.

المبحث الثاني: جعل الآخرة خيرا له من الأولى .

المبحث الثالث: وعده ﷺ بالعطاء الرباني الذي يرضيه.

المبحث الرابع: إيواؤه ﷺ في يتمه.

المبحث الخامس: هدايته ﷺ من ضلاله.

المبحث السادس: إغناؤه ﷺ بعد فقره.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات، ثم الفهارس.

وبعد فهذا جهد المقل، واستغفر الله مما فيه من التقصير، وأسأله – سبحانه وتعالى – أن يرزق عملي القبول، وأن ينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

﴿الأنبياء المرسلات النبأ النازعات عبس التكوير الانفطار المطففين الانشقاق﴾ (١)

الباحث/ د. أيمن صبحي صديق

(١) سورة هود، من الآية: ٨٨

التمهيد

في التعريف بالسورة الكريمة.

جرت عادة من يكتب في التفسير أن يقدم بين يدي السورة التي هو بصدد تفسيرها تعريفا بها يلقي الضوء من خلاله على أسماء السورة الكريمة، وعدد آياتها وكلماتها وحروفها، وزمان نزولها، ومناسبتها لما قبلها، ونحو ذلك.

وانطلاقا من هذا فقد رأيت أن أبدأ بالحديث عن هذه الأمور المهمة بين يدي السورة الكريمة، فأقول وبالله التوفيق:

أولاً- أسماء السورة الكريمة:

أسماء السور توقيفية على الراجح عند أئمة علوم القرآن، وهذا ما أكده الإمام الزركشي(١)، وجزم به الإمام السيوطي حيث قال: "وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار".(٢)

ويفهم من ذلك أن أسماء السور توقيفية، والقول بخلاف ذلك قول مرجوح.

وبالنظر في المصاحف وأكثر كتب التفسير(٣) يتضح لنا أن هذه السورة الكريمة سميت سورة (الضحى)، وهذا هو اسمها التوقيفي، فقد ورد عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَامَ مُعَاذٌ فَصَلَّى الْعِشَاءَ الآخِرَةَ فَطَوَّلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَفَتَّانٌ يَا مُعَاذٌ؟ أَفَتَّانٌ يَا مُعَاذُ؟ أَيْنَ كُنْتَ عَنْ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى، وَالضُّحَى، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ؟**»(٤)

---

(١) يراجع: البرهان في علوم القرآن ٢٢٠/١

(٢) الإتقان في علوم القرآن ١٨٦/١

(٣) ينظر على سبيل المثال: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٧٢٥)، جامع البيان (٢٤/ ٤٨١)، تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٢)، تأويلات أهل السنة (١٠/ ٥٥٦)، التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٥٠٧)، بحر العلوم (٣/ ٥٩١)، الكشف والبيان (١٠/ ٢٢٢)، الكشاف (٤/ ٧٦٥)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٩١)، أنوار التنزيل (٥/ ٣١٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٤٢) حديث ٧٠٥ كتاب الأذان، باب من شكا إمامه إذا طول، (٨/ ٢٦) حديث ٦١٠٦ كتاب الأدب، باب من لم ير إكفار من قال

كما سميت في كثير من كتب التفسير[١] وبعض كتب السنة[٢] سورة (والضحى) بإثبات الواو.

ويظهر لي أن للسورة الكريمة اسم واحد، وأنها سميت (سورة الضحى) تسمية لها باسم فاتحتها.

ثانيًا- عدد آي السورة وكلماتها وحروفها:

قال أبو عمرو الداني: "كلمها: أربعون كلمة، وحروفها: مائة واثنان وسبعون حرفا، وهي إحدى عشرة آية في جميع العدد ليس فيها اختلاف".[٣]

ثالثًا- القول في كون السورة مكية أو مدنية، وفي ترتيبها النزولي والمصحفي:

ذلك متأولا أو جاهلا، ومسلم في صحيحه (١/ ٣٣٩) حديث ٤٦٥ كتاب الصلاة، باب القراءة في العشاء، والنسائي في سننه – **واللفظ له** – (٢/ ١٧٢) حديث ٩٩٧ كتاب الافتتاح، القراءة في العشاء الآخرة بسبح اسم ربك الأعلى، وأخرجه غيرهم.

(١) ينظر على سبيل المثال: تفسير عبد الرزاق (٣/ ٤٣٥)، جامع البيان (٢٤/ ٤٨١)، تأويلات أهل السنة (١٠/ ٥٦٤)، (١٠/ ٥٧٠)، الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٣٢٣)، معالم التنزيل (٨/ ٤٥٩)، الكشاف (٤/ ٧٦٩)، مفاتيح الغيب (٣٢/ ٣٠٨)، غرائب القرآن (٦/ ٥١٤)، روح البيان (١٠/ ٤٥٩).

(٢) كما في: صحيح البخاري (٦/ ١٧٢)، سنن الترمذي (٥/ ٤٤٢)، مستخرج أبي عوانة (٢/ ٤٩٤)، السنن الكبرى للنسائي (١٠/ ٣٣٨)، المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٥٧٣).

(٣) البيان في عد آي القرآن (ص: ٢٧٧)، ويراجع: بشير اليسر شرح ناظمة الزهر في علم الفواصل للشيخ عبد الفتاح القاضي (ص: ١٨٧)، ويراجع: جامع البيان (٢٤/ ٤٨١)، بحر العلوم (٣/ ٥٩١)، التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٥٠٧)، فنون الأفنان في عيون علوم القرآن (ص: ٣٢٣)، أنوار التنزيل (٥/ ٣١٩)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٦٥٣)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٩٠).

سورة الضحى مكية إجماعاً.[١] وعدت الحادية عشرة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الفجر وقبل سورة الانشراح.[٢]

وأما ترتيبها المصحفي: فقد عُدَّت الثالثة والتسعون في المصحف الشريف، قبلها سورة الليل، وبعدها سورة الشرح.

رابعًا- مناسبة السورة الكريمة لما قبلها:

قال الإمام البقاعي: "مقصودها الدلالة على آخر الليل[٣] بأن أتقى الأتقياء – الذي هو الأتقى على الإطلاق – في عين الرضا دائما، لا ينفك عنه في الدنيا والآخرة.....

ولمَّا حكم في آخر الليل بإسعاد الأتقياء، وكان النبي ﷺ أتقى الخلق مطلقاً، وكان قد قطع عنه الوحي حينًا ابتلاء لمن شاء من عباده، وكان به ﷺ صلاح الدين والدنيا والآخرة، وكان الملوان سبب صلاح معاش الخلق وكثير من معادهم، أقسم – سبحانه وتعالى – بهما على أنه أسعد الخلائق دنيا".[٤]

وقال الإمام السيوطي عن سورة الشمس والليل والضحى: "هذه الثلاثة حسنة التناسق جدًّا؛ لما في مطالعها من المناسبة؛ لما بين الشمس والليل والضحى من الملابسة.....

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٤٩٣)، زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٥٦)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٣١٩)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٩٠)، اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ٣٨٠)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٥/ ٦٠١)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٥٦).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٩٤)، ويراجع: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧٦٥)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٩٠)، تفسير المراغي (٣٠/ ١٨٢)، التفسير القرآني للقرآن (١٦/ ١٥٩٨).

(٣) أي آخر سورة الليل، وهو قوله تعالى: ﴿صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٢/ ١٠٠، ١٠١).

ونزيد في سورة الضحى: أنها متصلة بسورة الليل من وجهين، فإن فيها: ﴿الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ﴾[1]، وفي الضحى: ﴿ ﴾[2]، وفي الليل: ﴿صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمِ﴾[3]"، وفي الضحى: ﴿ ﴾[4].

ولما كانت سورة الضحى نازلة في شأنه ﷺ افتتحت بالضحى، الذي هو نور، ولما كانت سورة الليل سورة أبي بكر – يعني: ما عدا قصة البخيل – وكانت سورة الضحى سورة محمد، عقب بها، ولم يجعل بينهما واسطة ليعلم ألا واسطة بين محمد وأبي بكر. [5]

قلت: هذا الوجه الأخير تفوح منه رائحة التكلف في بيان وجه المناسبة بين السورتين.

وقال أبو جعفر بن الزبير: "لما قال الله – تعالى –: ﴿اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ﴾[6] ، ثم اتبعه بقوله: ﴿فَطِرْ﴾[7] ، وبقوله: ﴿الْوَاقِعَةِ الْحَاقَّةِ الْمُجَادَلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ﴾[8]فلزم الخوف، واشتد الفزع، وتعين على الموحد الإذعان بالتسليم، والتضرع في التخلص، والتجاؤه إلى السميع العليم، آنس تعالى أحب عباده إليه وأعظم منزلة لديه، وذكر له ما منحه من تقريبه واجتبائه، وجمع خير الدارين له فقال: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[9]". [10]

---

(١) سورة الليل، الآية: ١٣
(٢) سورة الضحى، الآية: ٤
(٣) سورة الليل، الآية: ٢١
(٤) سورة الضحى، الآية: ٥
(٥) أسرار ترتيب القرآن (ص: ١٥٩، ١٦٠) باختصار.
(٦) سورة الشمس، الآية: ٨
(٧) سورة الليل، من الآيتين: ٧، ١٠
(٨) سورة الليل، الآيتان: ١٢، ١٣
(٩) سورة الضحى، الآيات: ١ – ٤
(١٠) البرهان في تناسب سور القرآن (ص: ٣٦٥، ٣٦٦)

خامساً- سبب نزول السورة الكريمة:

جمهور المفسرين على أن سبب نزول السورة الكريمة هو إبطاء الوحي على رسول الله ﷺ حتى شق ذلك عليه، وقيل فيما قيل: ودع محمداً ربُّه وقلاه.

ثم اختلفوا فيمن قال هذا، ووردت عدة رواية في سبب النزول:

الرواية الأولى: عن جُنْدُب بْنَ سُفْيَان ﷺ، قَالَ: «**اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ – أَوْ ثَلَاثًا** –»، فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ – أَوْ ثَلَاثَةٍ – فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿﴾﴾[1].[2]

قال شُرَّاح الحديث: قوله: (فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ) هي أم جميل العوراء بنت حرب، أخت أبي سفيان، وهي حمالة الحطب، زوج أبي لهب. [3]

الرواية الثانية: عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: أبطأ جبريل على النبيّ ﷺ، فجزع جزعا شديدا، وقالت خديجة: أرى ربك قد قلاك، مما نرى من جزعك، قال: فنزلت:﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿﴾﴾. ... إلى آخرها.﴾.[4]

---

(١) سورة الضحى، الآيات: ١ – ٣

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٤٩) حديث ١١٢٤، ١١٢٥ كتاب أبواب التهجد، باب ترك القيام للمريض، (٦/ ١٧٢) حديث ٤٩٥٠، ٤٩٥١ كتاب التفسير، باب ﴿بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾، (٦/ ١٨٢) حديث ٤٩٨٣ كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل، ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٢٢) حديث ١٧٩٧ كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين، وأخرجه غيرهما.

(٣) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ٣١٩)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٩/ ٣٠٠)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٧/ ٤٢٣)، فيض الباري على صحيح البخاري (٢/ ٥٥٤)

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٣٢٣) حديث ٣١٧٦٤، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤/ ٤٨٧)، وأورده مكي بن أبي طالب في تفسيره (١٢/ ٨٣٢٤)، والماوردي في تفسيره (٦/ ٢٩٢)، وابن كثير في تفسيره (٨/ ٤٢٤، ٤٢٥) وقال معقبا عليه: " إنه حديث مرسل من هذين الوجهين، ولعل ذكر خديجة ليس محفوظا، أو قالته على

قال الإمام الرازي: "طعن الأصوليون في هذه الرواية، وقالوا: إنه لا يليق بالرسول ﷺ أن يظن أن الله – تعالى – ودعه وقلاه، بل يعلم أن عزل النبي عن النبوة غير جائز في حكمة الله – تعالى –، ويعلم أن نزول الوحي يكون بحسب المصلحة، وربما كان الصلاح تأخيره، وربما كان خلاف ذلك، فثبت أن هذا الكلام غير لائق بالرسول – عليه الصلاة والسلام–، ثم إن صح ذلك يحمل على أنه كان مقصوده – عليه الصلاة والسلام – أن يجربها ليعرف قدر علمها، أو ليعرف الناس قدر علمها".(١)

قلت: هذه رواية مرسلة، مخالفة لما في الصحيحين، فلا حاجة إلى محاولة تأويلها؛ لأن "معارضة رواية الصحيحين بهذه الرواية المرسلة تسقط اعتبارها".(٢) ولهذا قال الإمام الآلوسي: " وأنت تعلم أن هذه الرواية شاذة لا يعول عليها ولا يلتفت إليها، فلا ينبغي إتعاب الذهن بتأويلها".(٣)

الرواية الثالثة: قال المفسرون: سألت اليهود رسول الله ﷺ عن الرّوح، وعن ذي القرنين، وأصحاب الكهف، فقال سأخبركم غدا، ولم يقل إن شاء الله، فاحتبس الوحي عليه. (٤)

الرواية الرابعة: قال زيد بن أسلم: كان سبب احتباس الوحي، وجبريل عنه أن جروًا كان في بيته، فلما نزل عليه عاتبه رسول الله ﷺ على إبطائه فقال: إنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة. (٥)

قال الحافظ ابن حجر: " وقصة إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة، لكن كونها سبب نزول هذه الآية غريب، بل شاذ مردود بما في الصحيح، والله أعلم ".(١)

وجه التأسف والتحزن، والله أعلم. وأورده السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥٤٠) وفي لباب النقول (ص: ٢١٣) وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر عن عروة ﷺ .

(١) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٢)

(٢) بيان المعاني (١/ ١٠٤)

(٣) روح المعاني (١٥/ ٣٧٧)

(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/ ٢٢٢)، الهداية الى بلوغ النهاية (٧/ ٤٥٦٦)، التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٥٠٨)، تفسير السمعاني (٦/ ٢٤٣)، تفسير البغوي (٥/ ٢٦٥)، زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٥٦)، مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٢)، لباب التأويل في معاني التنزيل (٤/ ٤٣٧).

(٥) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/ ٢٢٢)، تفسير البغوي (٥/٢٦٥، ٢٦٦)، لباب التأويل في معاني التنزيل (٤/ ٤٣٧)، السراج المنير (٤/ ٥٤٩)

قلت: أما الرواية الأولى الواردة عن جُنْدُب بْنَ سُفْيَان ﷺ ففي الصحيحين، ومن ثم فهي الرواية الصحيحة في سبب النزول، وإلى ترجيح هذه الرواية مال الدكتور أبو شهبة حيث قال: والحق في سبب نزول «والضحى» هو ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن جندب بن سفيان البجلي... ثم ذكر الحديث. (٢)

وأما الروايات الباقية ففي النفس منها شيء؛ لأن "معظم هذه الروايات غير موثق، ومنها ما لا يمكن التسليم به؛ لتعارضه مع وقت نزول السورة، خاصة مثل رواية الفترة بسبب عدم قول النبي ﷺ: "إن شاء الله" حينما سأله اليهود عن المسائل الثلاث وقال لهم: سأخبركم غدا؛ لأن احتكاك النبي ﷺ باليهود وأسئلتهم التعجيزية له كانت في العهد المدني، ولم ترد رواية وثيقة عن مثل ذلك في العهد المكي، فضلا عن أن نزول قصص أهل الكهف وذي القرنين والسؤال عن الروح إنما كان في أواسط العهد المكي، ومثل رواية الفترة بسبب جرو الحسن أو الحسين – رضي الله عنهما – في بيت النبي ﷺ؛ لأن السبطين الشريفين من مواليد المدينة....." (٣)

قالت الدكتورة/ عائشة عبد الرحمن: " ولا أدري كيف فاتهم أن الحسن والحسين – رضي الله عنهما – ولدا بعد الهجرة بثلاث سنوات وأربع، وسورة الضحى من أوائل الوحي، نزلت بمكة قبل الهجرة بسنين. والذي يعطيه ظاهر النص، أن فتور الوحي ظاهرة طبيعية، شأنها شأن سجو الليل بعد إشراق الضحى. وهذا يغنينا عن تقديم أسباب والتماس علل للإبطاء في الوحي، لم يتعلق القرآن بذكرها". (٤)

سادساً- فضل السورة الكريمة:

يمكن معرفة فضل السورة الكريمة من خلال ما يلي:

١- روي في فضل السورة حديث أبي بن كعب أن النبي ﷺ قال: «**من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد أن يشفع له وعشر حسنات**

(١) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٧١٠)
(٢) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، د. محمد أبو شهبة (١/ ٢٨٢)
(٣) التفسير الحديث (١/٥٥١، ٥٥٢)
(٤) التفسير البياني للقرآن الكريم (١/ ٣٥، ٣٦).

يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل»[1] **قلت:** هذا الحديث ذكره جمع من المفسرين، ونبه بعضهم على ضعفه أو وضعه. **وهو جزء من حديث أبي بن كعب** رضي الله عنه **الوارد في فضائل السور، وهو حديث موضوع بإجماع أهل الحديث.**

قال ابن الجوزي: "قد فرَّق هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره، فذكر عند كل سورة منه ما يخصها، وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، ولا أعجب منهما؛ لأنهما ليسا من أصحاب الحديث، وإنما عجبت من أبي بكر بن أبي داود[2] كيف فرَّقه على كتابه الذي صنفه في فضائل القرآن، وهو يعلم أنه حديث مُحال".

ثم قال:"حديث فضائل السور مصنوع بلا شك، ونفس الحديث يدل على أنه مصنوع؛ فإنه قد استنفد السور، وذكر في كل واحدة ما يناسبها من الثواب بكلام ركيك في نهاية البرودة، لا يناسب كلام الرسول ﷺ ".[3]

وقال الحافظ المناوي[4]: وأما الحديث عن أُبَيّ في فضائل السور سورة سورة فموضوعٌ، وضعه رجل من عبادان – قرية من قرى البصرة – واعترف بوضعه، كما هو معروف عند أهل الحديث. [5]

---

(١) أورده الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٢٢٢)، والواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٥٠٧)، والزمخشري في تفسيره (٤/ ٧٦٩)، والبيضاوي في تفسيره (٥/ ٣٢٠)، وابن عادل الحنبلي في تفسيره (٢٠/ ٣٩٥)، والخطيب الشربيني في تفسيره (٤/ ٥٥٤) وقال: حديث موضوع، وأبو السعود في تفسيره (٩/ ١٧١)، والفيروز أبادي في بصائر ذوي التمييز (١/ ٥٢٥) وصرَّح بضعفه.

(٢) عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، أبو بكر بن أبي داود، الحافظ الثقة، صاحب التصانيف، إمام وقته، عالم، متفق عليه، احتج به من صنف الصحيح. مات سنة ست عشرة وثلاثمائة. (سير أعلام النبلاء (١٣/٢٢١ – ٢٣٧)، ميزان الاعتدال (٤/١١٣)، لسان الميزان (٣/٢٩٣، ٢٩٦)

(٣) الموضوعات لابن الجوزي (١/١٧٤)، ويراجع: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، لأبي الحسن علي بن محمد الكناني (١/٢٨٥)

(٤) محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، ولد سنة ٩٥٢ هـ، كان من كبار العلماء. انزوى للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر، فمرض وضعفت أطرافه. توفي سنة ١٠٣١ هـ. (الأعلام (٦/٢٠٤)، معجم المؤلفين (١٠/١٦٦)

(٥) الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي، للحافظ المناوي ١/١١٧

وقال الإمام العجلوني[١]: فضيلة قراءة كل سورة، رووا ذلك وأسندوه إلى أبي بن كعب، ومجموع ذلك مفترى وموضوع بإجماع أهل الحديث.[٢]

قلت: الحديث له طرق كلها باطلة موضوعة، وهذا ما قرره الإمام الشوكاني بقوله: حديث: "من قرأ فاتحة الكتاب أعطي من الأجر كذا" فذكر فضل سورة سورة إلى آخر القرآن، رواه العقيلي عن أبي بن كعب مرفوعا. قال ابن المبارك: أظن الزنادقة وضعته[٣]. والآفة من بزيع[٤]، وروى بإسناد آخر موضوع أيضا، رواه ابن أبي داود، والآفة من مخلد ابن عبد الواحد[٥]، ولهذا الحديث طرق كلها باطلة موضوعة، وذكره الخليلي[٦] في الإرشاد عن ابن عباس مرفوعا، وفي إسناده نوح بن أبي مريم[٧]، وقد أقر بأنه الواضع له، فقبح

---

(١) إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني العجلوني، الشافعي، الشهير بالجراحي مؤرخ، محدث، مفسر، نحوي. ولد سنة ١٠٨٧هـ، ونشأ بدمشق، وتوفي بها سنة ١١٦٢ هـ . (الأعلام (٣٧٥/١)، معجم المؤلفين (٧٩٧/٢)

(٢) كشف الخفاء ومزيل الإلباس، للإمام العجلوني (٥٦٤/٢).

(٣) ضعفاء العقيلي (١٥٦/١)، تخريج الأحاديث والآثار (٣٤٣/٤)، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، للسخاوي (٢٦١/١)، تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة (ص:٧٦)، الموضوعات لابن الجوزي (١٧٤/١)، اللآلىء المصنوعة، للحافظ السيوطي (٢٠٧/١)، تنزيه الشريعة المرفوعة، للحافظ الكناني (٢٨٥/١).

(٤) بزيع بن حسان، أبو الخليل البصري، يروي بواطيل. وقال ابن أبي حاتم: حديثه شبه الموضوع، قال: وقال أَبِي: هو ذاهب الحديث. وقال الدارقطني: متروك. وقال ابن عدي: أحاديثه مناكير لا يتابعه عليها أحد. (المجروحين، لابن حبان (١٩٨/١، ١٩٩)، الضعفاء والمتروكون، لابن الجوزي (١٣٨/١)

(٥) مخلد بن عبد الواحد، أبو الهذيل البصري، يروي عن علي بن زيد بن جدعان، قال الرازي: ضعيف الحديث. وقال ابن حبان: منكر الحديث جدا، يتفرد بمناكير لا تشبه حديث الثقات. وقال الأزدي: كذاب يضع الحديث. (المجروحين (٤٣/٣، ٤٤)، الضعفاء والمتروكون، لابن الجوزي (١١١/٣)

(٦) الحافظ الإمام أبو يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد القزويني الخليلي القاضي، ثقة، حافظ، عارف بكثير من علل الحديث ورجاله، عالي الإسناد، كبير القدر. توفي سنة ست وأربعين وأربعمائة. (سير أعلام النبلاء (٦٦٦/١٧ –٦٦٨)، تذكرة الحفاظ (١١٢٣/٣، ١١٢٤)، طبقات الحفاظ (٤٣٠/١)

(٧) نوح بن أبي مريم، أبو عصمة، واسم أبي مريم يزيد بن جعونة. قال أحمد: يروي مناكير. وقال يحيى: ليس بشيء، ولا يكتب حديثه. وقال ابن حماد ومسلم والرازي

الله الكذابين. ولا خلاف بين الحفاظ في أن حديث أُبَيّ بن كعب هذا موضوع، وقد اغتر به جماعة من المفسرين، فذكروه في تفاسيرهم. (١)

٢- قال ﷺ: «يا عليّ مَنْ قرأَها أَعطاه الله ثواب النبيّين، ولـه بكلّ آيـة قرأَها ثوابُ المتصدّق».(٢)

٣- يسن التكبير(٣) - بأن يقول: «اللَّه أكبر» أو «اللَّه أكبر، لا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر» - **عقب قراءة سورة والضحى وخاتمة كل سورة بعدها.**

والدراقطني: متروك. وذكر الحاكم أن نوحا وضع حديث فضائل القرآن. (المجروحين (٣/٤٨، ٤٩)، الضعفاء والمتروكون، لابن الجوزي (٣/١٦٧)

(١) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، للإمام الشوكاني (١/٢٩٦).

(٢) أورده الفيروز أبادي في بصائر ذوي التمييز (١/ ٥٢٥)، وقال: حديث ضعيف. ولم أقف عليه عند غيره.

(٣) يستحب التكبير من الضحى إلى آخر القرآن، وهي قراءة المكيين.
قال ابن كثير: روينا من طريق أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المقرئ قال: قرأت على عكرمة بن سليمان، وأخبرني أنه قرأ على إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد، فلما بلغت " والضحى " قالا لي: كبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة، فإنا قرأنا على ابن كثير فأمرنا بذلك. وأخبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك. وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك، وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبي بن كعب فأمره بذلك، وأخبره أبي أنه قرأ على رسول الله ﷺ فأمره بذلك .
فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزي، من ولد القاسم بن أبي بزة، وكان إماما في القراءات، فأما في الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازي وقال: لا أحدث عنه، وكذلك أبو جعفر العقيلي قال: هو منكر الحديث. لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة في شرح الشاطبية عن الشافعي أنه سمع رجلا يكبر هذا التكبير في الصلاة، فقال له: أحسنت وأصبت السنة. وهذا يقتضي صحة هذا الحديث. **وقد اختلفت وجهة العلماء في السر في هذا التكبير**، فروى أبو العلاء الهمداني عن= = البزي، أن الأصل في ذلك أن النبي ﷺ انقطع عنه الوحي فقال المشركون: قلا محمدًا ربُّه، فنزلت سورة الضحى، فكبر النبي ﷺ . قال ابن كثير: ولم يرد ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف.
وقال الحليمي: نكتة التكبير التشبيه للقراءة بصوم رمضان، إذا أكمل عدته يكبر، فكذا هنا يكبر إذا أكمل عدة السورة، قال: وصفته أن يقف بعد كل سورة وقفة قصيرة، ويقول: «الله أكبر» وكذا قال سليم الرازي من الشافعية في تفسيره: يكبر بين كل سورتين تكبيرة، ولا يصل آخر السورة بالتكبير بل يفصل بينهما بسكتة، قال: ومن لا يكبر من القراء حجتهم: أن في ذلك ذريعة إلى الزيادة في القرآن، بأن يداوم عليه فيتوهم أنه منه.

وذكر القراء[١] **في مناسبة التكبير**: أنه لما تأخر الوحي عن رسول اللَّه ﷺ وفتر مدة، ثم جاء الملك، فأوحى إليه: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ﴾ السورة بتمامها، كبّر فرحًا وسرورًا. ولم يُرْوَ ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف. [٢]

٤- ذكر بعض العلماء أن بعض سورة الضحى من قبيل التكليم الشفاهى من الحق- تعالى- لرسوله ﷺ من غير حجاب ولا واسطة ملك، فقد ذكر الإمام السيوطى[٣] أن الآيتين من آخر سورة البقرة نزلتا ليلة المعراج، كما عدّ من هذا النوع أيضا: بعض سورة (الضحى)، وأَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ؛ واستدل بما أَخْرَجَه ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**سَأَلْتُ رَبِّي مَسْأَلَةً وَدِدْتُ أَنِّي لِمْ أَكُنْ سَأَلْتُهُ، قُلْتُ: أَيْ رَبِّ اتَّخَذْتَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا وَكَلَّمْتَ مُوسَى تَكْلِيمًا. فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَلَمْ أَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَيْتُ، وَضَالا فَهَدَيْتُ، وَعَائِلا فَأَغْنَيْتُ، وَشَرَحْتُ لَكَ صَدْرَكَ، وَحَطَطْتُ عَنْكَ وِزْرَكَ، وَرَفَعْتُ لَكَ ذِكْرَكَ، فَلا أُذْكَرُ إِلا ذُكِرْتَ مَعِي!**».[٤]

وكذلك اختلفوا في ابتدائه، أهو من أول الضحى، أم من آخرها؟ وفي انتهائه، أهو أول سورة الناس أم آخرها؟ وفي وصله بأولها، أو آخرها، وقطعه، والخلاف في الكل مبني على أصل، وهو: أهو لأول السورة أم لآخرها وفي لفظه. فقيل: «الله أكبر» وقيل: «لا إله إلا الله، والله أكبر» وسواء في التكبير في الصلاة، وخارجها، صرح به السخاوي وأبو شامة. (تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٣)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٥٦)، محاسن التأويل (٩/ ٤٨٩)، المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: ٤٤٨، ٤٤٩)

(١) ينظر: جمال القراء وكمال الإقراء (١/ ١٨٧)، النشر في القراءات العشر (٢/ ٤٠٦)، الإتقان في علوم القرآن (١/ ٣٨٣)

(٢) تفسير البغوي – طيبة (٨/ ٤٦٠)، تفسير ابن كثير ت سلامة (٨/ ٤٢٣)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٥٦)، فتح البيان في مقاصد القرآن (١٥/ ٢٧٤)، محاسن التأويل (٩/ ٤٨٩)

(٣) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٦١)، معترك الأقران (٢/ ٢٦٧)

(٤) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٤٠٢)، والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٢/ ٣٠٩) حديث (٣٣٩٩)، والطبري في تفسيره (١٧/ ٣٣٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٣١٤)، والثعلبي في تفسيره (٦/٦٤، ٦٥)، وأورده ابن كثير في تفسيره تفسير (٥/ ٣٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٠٣)، (٨/ ٥٤٩)، وفي

قلت: ليس في الحديث ما يدل صراحة على أن هذا كان مشافهة من غير حجاب؛ "لأنه قد يقال لا يلزم من النزول في قاب قوسين أن يكون مشافهة من غير حجاب، وقوله: «فقال: محمد ألم أجدك إلى آخره» ليس هذا نص التلاوة، وإنَّ هذا ظاهر في أن المتلوّ الدال على ما ذكر نزل قبل ذلك، وأن هذا تذكير به، والله أعلم".[1]

قال الدكتور محمد أبو شهبة: "وأما حديث «عدي بن ثابت» الذي أخرجه ابن أبي حاتم، فليس فيه أن الله أنزل هذه الآيات، وإنما كل ما فيه: التمنن عليه بالمنن التي ذكرت في هذه الآيات، ولا سيّما وألفاظ الحديث مغايرة للنص القرآني للآيات، مما يستبعد معه أن تكون الآيات نزلت في هذا التكليم، والظاهر أن السورتين نزلتا قبل ذلك؛ لأن التمنن إنما يكون بأمر معروف معلوم للمخاطب.

الخصائص الكبرى (١/ ٢٨٨)، وأورده المقريزي في إمتاع الأسماع (٨/ ٢٧٤)، والقسطلاني في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٢/ ٤٩٠)، والصالحي في سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٢٦٤)

وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (١/ ١٧٨)، **وقال: هذا حديث لا يصح**، وفيه عمارة بن جوين أبو هارون، كذاب، متروك الحديث، وأما روح بن مسافر فقال يحيى: ليس بشيء وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات لا يحل الرواية عنه، وأما عبد الله بن صالح فقال أحمد: ليس بشيء وقال النسائي ليس بثقة.

وذكره السيوطي في اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (١/ ٧٠)، والشوكاني في تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة (١/ ١٦٥)

قال ابن كثير: وهذا الحديث في بعض ألفاظه غرابة ونكارة شديدة، وفيه شيء من حديث المنام من رواية سمرة بن جندب في المنام الطويل عند البخاري، ويشبه أن يكون مجموعا من أحاديث شتى، أو منام أو قصة أخرى غير الإسراء، والله أعلم. (تفسير ابن كثير ت سلامة (٥/ ٣٨)

(١) السيرة الحلبية (١/ ٣٧٠)

فالحق ما قاله الإمام السيوطي أولا[1]، وهو أنه ليس في القرآن من هذا النوع شيء".[2]

سابعًا- الكلام في إحكام السورة الكريمة أو نسخ شيء منها:

جميعها محكم، ليس فيها ناسخ ولا منسوخ. [3]

ثامنًا- أغراض السورة الكريمة ومقاصدها:

قال صاحب الظلال: "هذه السورة بموضوعها، وتعبيرها، ومشاهدها، وظلالها وإيقاعها، لمسة من حنان، ونسمة من رحمة، وطائف من ود، ويد حانية تمسح على الآلام والمواجع، وتتسم بالروح والرضى والأمل، وتسكب البرد والطمأنينة واليقين.

إنها كلها خالصة للنبي ﷺ، كلها نجاء له من ربه، وتسرية وتسلية وترويح وتطمين. كلها أنسام من الرحمة وأنداء من الود، وألطاف من القربى، وهدهدة للروح المتعب، والخاطر المقلق، والقلب الموجوع".[4]

ولعل الذي يظهر للمتأمل أن محور السورة وموضوعها يدور على إثبات أن مدة الوحي ليست دليلا على القلى، مع تعداد أنعم تدل على الرعاية، بالإضافة إلى توجيه للتعامل مع من حرمها. [5]

---

(١) حيث قال – معددًا كيفيات الوحي–: الخامسة: أن يكلمه الله، إما في اليقظة، كما في ليلة الإسراء، أو في النوم ... وليس في القرآن من هذا النوع شيء فيما أعلم. نعم يمكن أن يُعَدَّ منه آخر سورة البقرة؛ لما تقدم، وبعض سورة الضحى وألم نشرح. (الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٦١)

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: ٦٥)

(٣) الناسخ والمنسوخ للمقري (ص: ١٩٩)، الناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص: ٦٦)، جمال القراء وكمال الإقراء (١/ ٨٩)، البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٣)، بيان المعاني (١/ ١٥٢)

(٤) في ظلال القرآن (٦/ ٣٩٢٥)

(٥) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف: د. مصطفى مسلم (٩/٢٠٠)

وقد سلكت لذلك أغراضًا، منها: "إبطال قول المشركين إذ زعموا أن ما يأتي من الوحي للنبي ﷺ قد انقطع عنه.

وزاده بشارة بأن الآخرة خير له من الأولى على معنيين في الآخرة والأولى. وأنه سيعطيه ربه ما فيه رضاه، وذلك يغيظ المشركين.

ثم ذكره الله بما حفَّه به من ألطافه وعنايته في صباه وفي فتوته وفي وقت اكتهاله، وأمره بالشكر على تلك النعم بما يناسبها من نفع لعبيده وثناء على الله بما هو أهله". (١)

قال الإمام البقاعي: "مقصودها: الدلالة على آخر الليل(٢) بأن أتقى الأتقياء – الذي هو الأتقى على الإطلاق – في عين الرضا دائما، لا ينفك عنه في الدنيا والآخرة؛ لما تحلى به من صفات الكمال التي هي الإيصال للمقصود بما لها من النور المعنوي، كالضحى بما له من النور الحسي الذي هو أشرف ما في النهار، وقد علم بهذا أن اسمها أدل ما فيها على مقصودها".(٣)

وقال الفيروز أبادي: "معظم مقصود السّورة: بيان ما للرّسول ﷺ: من الشرف والمنقَبَة، ووعده في القيامة بالشفاعة، وذكر أَنواع الكرامة له، والمِنَّة، وصيانة الفقر واليُتْم من بين الحرمان والمذلَّة، والأَمر بشكر النِّعمة في قوله: ﴿طٰسٓمٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾(٤)". (٥)

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن السورة الكريمة تضمنت أربعة مقاصد:

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٩٤)
(٢) أي آخر سورة الليل، وهو قوله تعالى: ﴿صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٢/ ١٠٠)
(٤) سورة الضحى، الآية: ١١
(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٥٢٥)

أولها: ابتدأت بالقسم الإلهي العظيم على أن اللَّه عز وجل ما قلا رسوله ولا أبغضه، ولا هجره ولا تركه، وإنما هو محل العناية الربانية، وهو عظيم القدر عند اللَّه – تعالى –: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ﴾[1]

الثاني: بشّره ربه بالعطاء الجمّ في الآخرة ومنه الشفاعة العظمى: ﴿ ﴾[2].

الثالث: عددت نعم اللَّه على نبيه منذ صغره: ﴿ ﴾ ﴿سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَة آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَة الأَنْعَام الأَعْرَاف الأَنْفَال التَّوْبَة﴾.[3]

الرابع: ختمت بإيصائه بفضائل ثلاث: العطف على اليتيم، وصلة المسكين، وشكر النعمة العظمى وهي النبوة وغيرها من هذه النعم المذكورة: ﴿يُونُس هُود يُوسُف الرَّعْد إِبْرَاهِيم الحِجْر النَّحْل الإِسْرَاء الكَهْف مَرْيَم طَه الأَنْبِيَاء الحَجّ المُؤْمِنُون﴾[4]. [5]

*****

(١) سورة الضحى، الآيتان: ١ ، ٢
(٢) سورة الضحى، الآية: ٥
(٣) سورة الضحى، الآيات: ٦ – ٨
(٤) سورة الضحى، الآيات: ٩ – ١١
(٥) التفسير المنير للزحيلي (٣٠/ ٢٨٠) بتصرف.

المبحث الأول: القسم له ﷺ على أن ربَّه ما ودَّعه وما قلاه.

من المنح الإلهية لخير البرية ﷺ أن الله – تعالى– أقسم في مطلع سورة الضحى على ما أنعم به على نبيه ﷺ وعلى أنه ما ودعه وما قلاه، فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.(١)

قال ابن إسحاق: وجاءه جبريل بسورة الضحى يقسم له ربه – وهو الذي أكرمه بما أكرمه – ما ودّعه وما قلاه. (٢)

فأقسم – سبحانه وتعالى– بالضحى وبالليل إذا سجى، أما الضحى فقال أهل اللغة هو: "حين تطلع الشمس فيصفو ضَوْءُها".(٣) "والأكثر أن الضحى من حين تطلع الشمس إلى أن يرتفع النهار وتبيض الشمس جدا".(٤)

قال الراغب الأصفهاني: "الضُّحَى: انبساطُ الشمس وامتداد النهار، وسمّي الوقت به".(٥)

وفي المراد بالضحى عند المفسرين أربعة أقوال: أحدها: ضوء النهار، قاله مجاهد.(٦) والثاني: صدر النهار، قاله قتادة.(٧) والثالث: أول ساعة من

(١) سورة الضحى، الآيات: ١ – ٥
(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٢٧١)
(٣) تهذيب اللغة (٥/ ٩٩)، لسان العرب (١٤/ ٤٧٥) مادة: (ضحا).
(٤) المخصص (٤/ ٤٥٥)
(٥) المفردات في غريب القرآن (ص: ٥٠٢)
(٦) أخرجه عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤/ ٢٠٧)، وينظر: تفسير مجاهد (ص: ٧٠٤)
(٧) قول قتادة وارد في: تفسير ابن فورك (٣/ ٢٣٥)، النكت والعيون (٦/ ٢٩١)، زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٥٧)

النهار إذا ترحّلت الشمس، قاله السدي[١]، ومقاتل.[٢] والرابع: النهار كلُّه، قاله الفراء[٣]. [٤]

وقد رجح الإمام الطبري أن المراد بالضحى النهار كله.[٥] وإليه مال الإمام الشوكاني حيث قال: " والمراد بالضحى هنا النهار كله، لقوله: ﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ﴾، فلما قابل الضحى بالليل دَلَّ على أن المراد به النهار كله لا بعضه".[٦] وهو رأي الإمام القرطبي. [٧]

ويظهر لي: أن في هذا نظر؛ لأن الله عز وجل لم يقابل الضحى بالليل كله وإنما بجزء منه وهو وقت سجوه، فدل على أن المراد بالضحى: وقت الضحى، وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقي شعاعها. ويدل عليه أيضًا قوله – تعالى–: ﴿الفُرۡقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمۡلِ القَصَصِ العَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقۡمَانَ السَّجۡدَةِ الأَحۡزَابِ﴾[٨] "أي: في صدر النهار، وقد جرت العادة أن الأعياد تكون في أول النهار، وكذلك اجتماع الناس في الأمور أكثر ما يكون في أول النهار".[٩]

وهو ما رجحه الإمام ابن جزي حيث قال: "الضحى ارتفاع الضوء وكماله، والضَحاء – بالفتح والمد – بعد ذلك إلى الزوال، وقيل: الضحى النهار كله، **والأول هو المعروف في اللغة**".[١٠]

ومال إليه الإمام النيسابوري حيث قال: "الأكثرون على أن المراد بالضحى: وقت الضحى، وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس ويظهر

(١) قول السدي وارد في: النكت والعيون (٦/ ٢٩١)، زاد المسير (٤/ ٤٥٧)
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٧٣١)
(٣) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٦٦)
(٤) النكت والعيون (٦/ ٢٩١)، زاد المسير (٤/ ٤٥٧)
(٥) جامع البيان (٢٤/ ٤٥١)
(٦) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٥٧)
(٧) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٩١)
(٨) سورة طه، الآية: ٥٩
(٩) تفسير السمعاني (٣/ ٣٣٦).
(١٠) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٨٦).

سلطانها. وقيل: هو النهار كله؛ لإقرانه بالليل في القسم، وهو ضعيف؛ لأن معنى (سجى) سكن واستقر ظلامه، أو سكون الناس فيه فيكون الإسناد مجازيا. يقال: سجا البحر إذا سكنت أمواجه، وطرف ساج أي ساكن فاتر. ولا ريب أن سجوّ الليل وقت استيلاء الظلام منه لا كله، فهو بمنزلة الضحى من النهار".[١]

وأما قوله – تعالى–: ﴿ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ ﴾ "فذكر أهل اللغة في (سجى) ثلاثة أوجه متقاربة: سكن[٢]، وأظلم[٣]، وغطى[٤].

أما الأول: فقال أبو عبيدة[٥] والمبرد[٦] والزجاج[٧]: سجى أي سكن، يقال: ليلة ساجية أي ساكنة الريح، وعين ساجية أي فاترة الطرف. وسجى البحر: إذا سكنت أمواجه.

وأما الثاني: وهو تفسير سجى بأظلم فقال الفراء[٨]: سجى أي أظلم وركد في طوله.

وأما الثالث: وهو تفسير سجى بغطى فقال الأصمعي وابن الأعرابي[٩]: سجى الليل تغطيته النهار، مثل ما يسجى الرجل بالثوب".[١٠]

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٥١٤)
(٢) ينظر: جمهرة اللغة (١/ ٤٧٦)، مختار الصحاح (ص: ١٤٣)، لسان العرب (١٤/ ٣٧١)، تاج العروس (٣٨/ ٢٤٧).
(٣) ينظر: العين (٦/ ١٦٢)، كتاب الأفعال (٢/ ١٧٠)، لسان العرب (١٤/ ٣٧١)
(٤) ينظر: مشارق الأنوار (٢/ ٢٠٧)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٤٤)، لسان العرب (١٤/ ٣٧١)
(٥) مجاز القرآن (٢/ ٣٠٢).
(٦) ينظر قوله في: تاج العروس (٣٨/ ٢٤٧).
(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٣٩).
(٨) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٧٣).
(٩) ينظر قول الأصمعي وابن الأعرابي في: تهذيب اللغة (١١/ ٩٧، ٩٨).
(١٠) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٠).

قال الراغب الأصفهاني: " (سَجى)، أي: سكن، وهذا إشارة إلى ما قيل: هدأت الأرجل، وعين سَاجِيَةٌ: فاترة الطّرف، وسَجَى البحر سَجْواً: سكنت أمواجه، ومنه استعير: تَسْجِيَةُ الميّت، أي: تغطيته بالثوب".(١)

قال الإمام الرازي: "واعلم أن أقوال المفسرين غير خارجة عن هذه الوجوه الثلاثة".(٢)

وقد ذكر المفسرون في معنى (سجى) خمسة أقوال:

أحدها: أظلم. (٣) **والثاني:** ذهب(٤)، رويا عن ابن عباس. **والثالث:** أقبل، قاله ابن عباس(٥) وسعيد بن جبير(٦). **والرابع:** سكن، قاله عطاء(٧)، وعكرمة(٨)، وابن زيد(٩)، وقتادة(١٠).

فعلى هذا في معنى «سكن» قولان: استقرّ ظلامه، أو سكن الخلق فيه. **والخامس:** امتد ظلامه، قاله ابن الأعرابي(١١). (١٢)

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٩٩)
(٢) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٠).
(٣) ذكره الماوردي في تفسيره (٦/ ٢٩١)، وابن الجوزي في تفسيره (٤/ ٤٥٧).
(٤) أخرجه عن ابن عباس: ابن جرير في تفسيره (٢٤/ ٤٨٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٤٤٢)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥٤١)، وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس –رضي الله عنهما–.
(٥) أخرجه عن ابن عباس: ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤/ ٤٨٢).
(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥٤١)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير ﷺ .
(٧) ذكره الماوردي في تفسيره (٦/ ٢٩١)، وابن الجوزي في في تفسيره (٤/ ٤٥٧).
(٨) أورده الشوكاني في فتح القدير (٥/ ٥٥٧).
(٩) أخرجه عن ابن زيد: ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤/ ٤٨٤).
(١٠) أخرجه عن قتادة: عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٤٣٥)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤/ ٤٨٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥٤١)، وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة.
(١١) ينظر قول ابن الأعرابي في: تاج العروس (٣٨/ ٢٤٨) مادة: (سجو).
(١٢) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٥٧) بتصرف، ويراجع: النكت والعيون (٦/ ٢٩١).

ويظهر لي: أن أولى هذه الأقوال بالقبول: هو تفسير سجى بسكن؛ لأنه الأشهر عند أهل اللغة وأهل التفسير، ولأنه الأنسب بسياق الكلام؛ لأن سكون الليل هو المقابل لوقت الضحى، "فهو بمنزلة الضحى من النهار".[١]

وهو ما رجحه الإمام الشوكاني حيث قال: "والأول أولى، وعليه جمهور المفسرين وأهل اللغة".[٢] وإلى نحو هذا ذهب جمع من المفسرين.[٣]

وأما قوله – تعالى–: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[٤] فجواب القسم، ومعناه: ما تركك ربك يا محمد وما أبغضك.[٥]

قال الراغب الأصفهاني: "الدّعة: الخفض. يقال: ودعت كذا أدعه وَدْعاً. نحو: تركته، وادعا.... والتودّع: ترك النّفس عن المجاهدة، وفلان متّدع ومتودّع، وفي دعة: إذا كان في خفض عيش، وأصله من التّرك. أي: بحيث ترك السّعي لطلب معاشه لعناء، والتّوديع أصله من الدّعة، وهو أن تدعو للمسافر بأن يتحمّل الله عنه كآبة السّفر، وأن يبلّغه الدّعة، ... فصار ذلك متعارفا في تشييع المسافر وتركه، وعبّر عن التّرك به في قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾".[٦]

وقد قرأ الجمهور: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مِنَ﴾[٧] – بتشديد الدال – من التوديع، وهو توديع المفارق، وقرأ ابن عباس وعروة بن الزبير وابنه هاشم وابن أبي عبلة وأبو حيوة

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٥١٤)
(٢) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٥٧).
(٣) ينظر: جامع البيان (٢٤/ ٤٨٤)، المحرر الوجيز (٥/ ٤٩٣)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٩٢)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٩٠)، اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ٣٨١).
(٤) سورة الضحى، الآية: ٣
(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٣٢٤)، الكشف والبيان (١٠/ ٢٢٤)، الوجيز للواحدي (ص: ١٢١٠)، تفسير البغوي (٥/ ٢٦٦)، مدارك التنزيل (٣/ ٦٥٣)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٥)
(٦) المفردات في غريب القرآن (ص: ٨٦١) باختصار.
(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٩٠)، البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٩٦)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٥٧)، فتح البيان في مقاصد القرآن (١٥/ ٢٧٦)، إعراب القرآن وبيانه (١٠/ ٥٠٧)، الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها (ص: ٦٦٢)، معترك الأقران في إعجاز القرآن (٢/ ٤٦٧)، معجم القراءات، د. عبد الكريم الخطيب (٤٧٩/١٠)

بتخفيفها (وَدَعَكَ)[١]، من قولهم: ودَعه، أي: تركه، والتوديع أبلغ في الوداع؛ لأن من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك.[٢]

قال ابن جني: "هذه قليلة الاستعمال. قال سيبويه: استغنوا عن وذر وودع بقولهم: ترك".[٣]

قال الإمام الشنقيطي: "والقراءة الأولى أشهر وأولى ؛ لأن استعمال ودع بمعنى ترك قليل... فترجحت قراءة الجمهور بالتشديد من: «ودعك» من التوديع. وقد ذكرنا هذا الترجيح ؛ لأن ودع بمعنى ترك فيها شدة وشبه جفوة وقطيعة، وهذا لا يليق بمقام المصطفى ﷺ عند ربه. أما الموادعة والوداع، فقد يكون مع المودة والصلة، كما يكون بين المحبين عند الافتراق، فهو وإن وادعه بجسمه فإنه لم يوادعه بحبه وعطفه، والسؤال عنه وهو ما يتناسب مع قوله – تعالى–: ﴿ٱلرَّجِيمِ﴾". [٤]

قال الإمام الآلوسي: "وودع من التوديع، وهو في الأصل من الدعة، وهو أن تدعو للمسافر بأن يدفع الله – تعالى– عنه كآبة السفر، وأن يبلغه الدعة وخفض العيش، كما أن التسليم دعاء له بالسلامة، ثم صار متعارفا في تشييع المسافر وتركه، ثم استعمل في الترك مطلقا، وفسر به هنا أي ما تركك ربك. وفي البحر[٥] والكشاف[٦]: التوديع مبالغة في الودع أي الترك؛ لأن من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك، قيل: وعليه يلزم أن يكون المنفي الترك المبالغ فيه دون أصل الترك، مع أن الظاهر نفي ذلك، فلا بد من أن يقال: إنه إنما نفى

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٩٠)، البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٩٦)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٥٧)، فتح البيان في مقاصد القرآن (١٥/ ٢٧٦)، الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها (ص: ٦٦٢)، معترك الأقران في إعجاز القرآن (٢/ ٤٦٧)، معجم القراءات، د. عبد الكريم الخطيب (٤٧٩/١٠)
(٢) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٥٧)
(٣) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (٢/ ٣٦٤)
(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٨/ ٥٥٥) باختصار.
(٥) البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٩٦)
(٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧٦٦)

ذلك؛ لأنه الواقع في كلام المشركين الذي نزلت له الآية، أو أن المبالغة تعود على النفي، فيكون المراد المبالغة في النفي، لا نفي المبالغة".[١]

والقلي: شدّة البغض.[٢] وتقدير الكلام: وما قلاك، فحذف الكاف.[٣]

وفي حذف الكاف من قوله: ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ وجوه:

أحدها: حذفت الكاف اكتفاء بالكاف الأولى في ودعك، ولأن رؤوس الآيات بالياء، فأوجب اتفاق الفواصل حذف الكاف.[٤]

وثانيها: فائدة الإطلاق أنه ما قلاك، ولا قلا أحدا من أصحابك، ولا أحدا ممن أحبك إلى قيام القيامة. [٥]

وثالثها: أنه قال: ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾، ولم يقلْ: وما قلاكَ، لأن القِلَى بغضٌ بعدَ حبٍّ، وذلك لا يجوز على اللَّهِ – تعالى–. والمعنى: وما قلى أحدًا قط. [٦]

ورابعها: أنه حذف المفعول؛ لئلا يواجه –عليه الصلاة والسلام– بنسبة القلى والبغض إليه وإن كان في كلام منفي؛ وذلك لطفًا به ﷺ وشفقة عليه.[٧]

قلت: هذا الوجه الأخير لطيف المعنى، غير أنه لا يتناسب مع حذف المفعول في سائر الآيات الآتية، وهي قوله – تعالى–: ﴿ ﴿ ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ ﴾[٨]

(١) روح المعاني (١٥/ ٣٧٤)
(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٦٨٣)
(٣) غرائب التفسير وعجائب التأويل (٢/ ١٣٥٤)
(٤) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٢)، أنوار التنزيل (٥/ ٣١٩)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٩٠)، البحر المحيط (١٠/ ٤٩٦)، الدر المصون (١١/ ٣٧)، اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ٣٨٣، ٢٨٤)
(٥) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٢)
(٦) تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ٥٩١، ٥٩٢)، ويراجع: إرشاد العقل السليم (٩/ ١٦٩)
(٧) التفسير الوسيط – مجمع البحوث (١٠/ ١٩٤٥)
(٨) سورة الضحى، الآيات: ٦ – ٨

وقد رجح الإمام الشنقيطي هذا الوجه حيث قال: "والذي يظهر من لطيف الخطاب ورقيق الإيناس ومداخل اللطف، أن الموادعة تشعر بالوفاء والود، فأبرزت فيها كاف الخطاب، أي: لم تتأت موادعتك وأنت الحبيب، والمصطفى المقرب. أما «قلى» ففيها معنى البغض، فلم يناسب إبرازها إمعانا في إبعاد قصده ﷺ بشيء من هذا المعنى، كما تقول لعزيز عليك: لقد أكرمتك، وما أهنت، لقد قربتك، وما أبعدت، كراهية أن تنطق بإهانته وكراهيته، أو تصرح بها في حقه".(١)

ثم اختلف في السبب الذي لأجله نزل قوله – تعالى–: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾(٢):

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إن النبي ﷺ كان سئل عن شيء إذ طلبوا منه شيئا، فقال: أفعل ذلك غدا، أو أجيبكم عنه غدا، ولم يستثن؛ فاحتبس عنه الوحي أياما لذلك؛ فقال المشركون: ودَّعه ربه وقلاه، أي: تركه وأبغضه.

ومنهم من قال: إنه أبطأ عليه الوحي، فجزع جزعا شديدا، فقالت له خديجة – رضي اللَّه عنها –: " إني لأرى قلاك ربك وودعك "؛ مما ترى من جزعه؛ فنزل قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾. (٣)

وقد سبق الحديث عن الروايات الواردة في سبب النزول بالتفصيل.

قال الإمام الماتريدي: "ولسنا ندري كيف كان الأمر؟ فإن كان نزل ذلك لقول قريش، **فالقسم يحتمل كذلك ردا لقولهم.**

وعلى القول الثاني– أنه نزل لقول خديجة – رضي اللَّه عنها – **فهو غير محتمل**؛ لأن خديجة تعلم أن اللَّه – تعالى– لم يودعه ولا قلاه، وكذا كل مؤمن معتقد أن اللَّه – تعالى– لا يودع أحدا من رسله.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٨/ ٥٥٦)

(٢) سورة الضحى، الآية: ٣

(٣) سبق تخريج هذا القول والذي قبله في الحديث عن سبب نزول سورة الضحى.

ولأنها تصدق الرسول – عليه السلام – أنه لم يودعه ولا قلاه إذا أخبرها بغير قسم؛ فلا معنى للقسم؛ فدل أن هذا الوجه غير محتمل".(١)

ثم ذكر الإمام الماتريدي رأيا وجيها في تفسير الآية فقال: "**ثم صرف تأويل الآية إلى غير ما قالوا أشبه عندنا وأقرب مما قالوا**، وهو أنه – عليه السلام – بعث إلى الفراعنة والجبابرة الذين كانت همتهم قتل من خالفهم، وإهلاك من استقبلهم بالخلاف، ولم يكن معه فضل مال وسعة يستميل به قلوب الناس؛ فيقول أُولَئِكَ الكفرة: إن ربه قد خذله وتركه وقلاه، حيث بعثه إلى من ذكرنا من الفراعنة والجبابرة الذين كانت همتهم القتل وعادتهم إهلاك من خالفهم بلا أنصار ولا أعوان من الملائكة، ولا مال وسعة يستميل به القلوب والأنفس؛ لأن من سَلَّم إنسانا إلى أعدائه الذين يعلم أنهم أعداؤه، ويخلي بينه وبين الأعداء بلا أنصار وأعوان ولا مال وسعة من الدنيا – يقال: إنه قد خذله وتركه وقلاه؛ إذ لا يفعل ذلك في الأصل إلا لذلك؛ فعند ذلك قالوا: إنه ودعه وقلاه، وهو ما قالوا: ﴿النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ﴾(٢)، وقولهم: ﴿سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف﴾(٣)، ونحو ذلك مما قالوا، فلولا صرف أهل التأويل تأويل الآية إلى ما ذكروا، وإلا صرفه إلى ما ذكرنا أشبه.

وفي قولهم: " قد ودعه ربه " دلالة أنهم قد عرفوا أنه رسول اللَّه ﷺ وأقروا بذلك حتى قالوا؛ فنزل قوله: ﴿بالله من الشيطان﴾.

فأخبر أنه لم يبعث إلى هَؤُلاءِ الفراعنة والجبابرة لما ذكر أُولَئِكَ الكفرة أنه خذله وتركه وقلاه، ولكن بعثه وهو ينصره ويعينه على تبليغ ما أمر بتبليغه إلى من أمر بتبليغه، ولم يقله، ولكنه اصطفاه واختاره؛ حتى يعلو أمره، ويكثر ذكره، وفي ذلك آية عظيمة على إثبات الرسالة، وهو ما ذكرنا أنه بعث إلى

(١) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٥٥٧)
(٢) سورة الفرقان، من الآيتين: ٧، ٨
(٣) سورة الزخرف، من الآية: ٣١

من همتهم القتل والإهلاك لمن خالفهم، فقهرهم جميعا، وغلب على الكل حتى أظهر الإسلام فيمن قرب منه ومن بعد".(١)

قال ابن عرفة: "فإن قلت: الترك أعم، ونفي الأعم يستلزم نفي الأخص، فلو بدأ بنفي الأخص لكان تأسيسا، فلم عدل عنه إلى التوكيد؟ فالجواب: أن التأكيد هنا أبلغ؛ لأنه في مقام الاعتناء والتعظيم للنبي ﷺ، وتنزيهه من الخصال الذميمة كلها".(٢)

"ولما أقسم بهذا القسم المناسب لحاله ﷺ، أجابه بقوله – تعالى–: ﴿بِٱللَّهِ مِنَ﴾ أي تركك تركاً يحصل به فرقة كفرقة المودع، ولو على أحسن الوجوه، الذي هو مراد المودع ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ أي الذي أحسن إليك بإيجادك أولاً، وجعلك أكمل الخلق ثانياً، ورباك أحسن تربية ثالثاً، كما أنه لا يمكن توديع الليل للنهار، ولا يمكن توديع الضحى للنهار ولا الليل وقت سجوه له. ولما كان ربما تعنت متعنت فقال: ما تركه، ولكنه لا يحبه، فكم من مواصل وليس بواصل، قال نافياً لكل ترك: ﴿ٱلرَّجِيمِ﴾ أي وما أبغضك بغضاً ما".(٣)

قلت: وعليه ففي هذا القسم ما فيه من منح إلهية لخير البرية ﷺ؛ وفي بيان هذه المنح يقول الإمام ابن القيم: " ومن ذلك إقسامه – سبحانه– ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ﴾.(٤) على إنعامه على رسوله، وإكرامه له، وإعطائه ما يرضيه، وذلك متضمن لتصديقه له، فهو قسم على صحة نبوته، وعلى جزائه في الآخرة، فهو قسم على النبوة والمعاد.

وأقسم بآيتين عظيمتين من آياته دالتين على ربوبيته وحكمته ورحمته، وهما الليل والنهار. فتأمل مطابقة هذا القسم – وهو نور الضحى الذي يوافى بعد ظلام الليل – للمقسم عليه – وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه

(١) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٥٥٧، ٧٥٨) بتصرف واختصار.
(٢) تفسير ابن عرفة (٤/ ٣٣٦) باختصار.
(٣) نظم الدرر (٢٢/ ١٠٢، ١٠٣)، ويراجع: السراج المنير (٤/ ٥٤٩)
(٤) سورة الضحى، الآيتان: ١، ٢

عنه، حتى قال أعداؤه: ودع محمداً ربُّه – فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه".[١]

ومن ثم فقد أقسم – سبحانه وتعالى – بأمور واضحة تدرك بالحواس على أمور معنوية غير مدركة، فأقسم بالضحى – وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس–، وبالليل إذا سجى – وهو وقت سكون الليل– وهي حالة تشبه حالة فتور الوحي بعد تجليه وأُنس النبي ﷺ به، فهو أمر طبيعي كما يأتي سكون الليل بعد توهج الشمس في رابعة النهار.

وفي هذا المعنى تقول الدكتورة/ عائشة عبد الرحمن: "وحين نتتبع أقسام القرآن في مثل آية الضحى، نجدها تأتي لافته إلى صورة مادية مدركة وواقع مشهود، توطئة بيانية لصورة أخرى معنوية مماثلة، غير مشهودة ولا مدركة، يماري فيها من يماري: فالقرآن الكريم في قسمه بالصبح إذا أسفر، وإذا تنفس، والنهار إذا تجلى، والليل إذا عسعس، وإذا يغشى، وإذا أدبر، يجلو معاني من الهدى والحق، أو الضلال والباطل، بماديات من النور والظلمة. وهذا البيان المعنوي بالحسي، هو الذي يمكن أن نعرضه على أقسام القرآن بالواو، فتقبلها دون تكلف أو قسر في التأويل....

المقسم به في آيتى الضحى، صورة مادية وواقع حسي، يشهد به الناس في كل يوم تألق الضوء في ضحوة النهار، ثم فتور الليل إذا سجا وسكن. دون أن يختل نظام الكون أو يكون في توارد الحالين عليه ما يبعث على إنكار، بل دون أن يخطر على با أحد، أن السماء قد تخلت عن الأرض وأسلمتها إلى الظلمة والوحشة، بعد تألق الضوء في ضحى النهار، فأي عجب في أن يجيء، بعد أنس الوحي وتجلي نوره على المصطفى ﷺ، فترة سكون يفتر فيها الوحي، على نحو ما نشهد من الليل الساجي يوافي بعد الضحى المتألق!" [٢]

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص: ٧٢، ٧٣)
(٢) التفسير البياني للقرآن الكريم (١/ ٢٥) باختصار.

قلت: وفي التعبير باسم الرب في قوله – تعالى–: ﴿بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ ما يشعر بدوام اللطف والرعاية التامة؛ إذ المربي لا يهجر من يربيه ولا يبغضه، بل يحبه على الدوام ويقربه.

قال صاحب الظلال: " وهو ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾، وأنت عبده المنسوب إليه، المضاف إلى ربوبيته، وهو راعيك وكافلك".(١)

وقال ابن عاشور: "وتعريف ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ بالإضافة، دون اسم (الله) العلم لما يؤذن به لفظ (رب) من الرأفة واللطف، وللتوسل إلى إضافته إلى ضمير المخاطب؛ لما في ذلك من الإشعار بعنايته برسوله وتشريفه بإضافة رب إلى ضميره".(٢)

*****

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٩٢٧)
(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٩٨)

المبحث الثاني: جعل الآخرة خيرا له من الأولي .

من المنح الإلهية لخير البرية ﷺ: ما وعده ربه – جل وعلا – في قوله – تعالى–: ﴿ ﴾[1]

فقد زاده الله – تعالى– تشريفا بقوله: ﴿ ﴾ "يعني هذا التشريف – وهو إعلام أن ما ألقاه الحساد فيما بينهم من التوديع والقلى بهت محض – وإن كان تشريفا عظيما إلا أن الذي أعدّ لأجلك في الآخرة أشرف وأسنى".[2]

وهذه الآية متصلة بما قبلها من وجوه:

أحدها: أن يكون المعنى أن انقطاع الوحي لا يجوز أن يكون؛ لأنه عزل عن النبوة، بل أقصى ما في الباب أن يكون ذلك؛ لأنه حصل الاستغناء عن الرسالة، وذلك أمارة الموت، فكأنه يقال: انقطاع الوحي متى حصل دل على الموت، لكن الموت خير لك. فإن ما لك عند الله في الآخرة خير وأفضل مما لك في الدنيا. [3]

وثانيها: لما نزل: ﴿ ﴾[4] حصل له بهذا تشريف عظيم، فكأنه استعظم هذا التشريف، فقيل له: وللآخرة خير لك من الأولى أي هذا التشريف وإن كان عظيما إلا أن ما لك عند الله في الآخرة خير وأعظم. [5]

قال الإمام الزمخشري: "فلما كان في ضمن نفى التوديع والقلى أنّ الله مواصلك بالوحي إليك، وأنك حبيب الله ولا ترى كرامة أعظم من ذلك ولا نعمة

(١) سورة الضحى، الآية: ٤
(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٥١٦)
(٣) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٣)، ويراجع: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٥١٦)
(٤) سورة الضحى، الآية: ٣
(٥) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٣)

أجل منه: أخبره أن حاله في الآخرة أعظم من ذلك وأجل، وهو السبق والتقدّم على جميع أنبياء الله ورسله، وشهادة أمته على سائر الأمم، ورفع درجات المؤمنين وإعلاء مراتبهم بشفاعته، وغير ذلك من الكرامات السنية".(١)

وثالثها: وهو أن يكون المعنى وللأحوال الآتية خير لك من الماضية كأنه – تعالى– وعده بأنه سيزيده كل يوم عزا إلى عز، ومنصبا إلى منصب، فيقول: لا تظن أني قليتك بل كل يوم يأتي فإني أزيدك منصبا وجلالا. (٢)

وقد جمع ابن عاشور بين الوجهين الأخيرين حيث قال: "فلما نفي القلى بشر بأن آخرته خير من أولاه، وأن عاقبته أحسن من بدأته، وأن الله خاتم له بأفضل مما قد أعطاه في الدنيا وفي الآخرة".(٣)

وفي بيان معنى الآية قال الإمام الطبري: "وللدار الآخرة، وما أعد الله لك فيها، خير لك من الدار الدنيا وما فيها. يقول: فلا تحزن على ما فاتك منها، فإن الذي لك عند الله خير لك منها".(٤)

وقال الإمام الماتريدي: "يقول: مع ما أعطيت في الدنيا من الشرف والذكر والغلبة، فالآخرة خير لك من الأولى؛ يرغبه في الآخرة، ويزهده في الدنيا. أو يقول: إن أولى لك أن يكون سعيك للآخرة؛ فهو خير لك من الأولى".(٥)

وقيل: آخر عمرك خير لك من أوله لما ينال من النصر والظفر.(٦)

قال ابن عاشور: "والآخرة: مؤنث الآخر، والأولى: مؤنث الأول، وغلب لفظ الآخرة في اصطلاح القرآن على الحياة الآخرة وعلى الدار الآخرة، كما غلب لفظ الأولى على حياة الناس التي قبل انخرام هذا العالم".(١)

---

(١) الكشاف (٤/ ٧٦٦)، ويراجع: مدارك التنزيل (٣/ ٦٥٤)
(٢) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٣)
(٣) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٩٧)
(٤) جامع البيان (٢٤/ ٤٨٧)
(٥) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٥٥٨)
(٦) غرائب التفسير وعجائب التأويل (٢/ ١٣٥٤)

وعليه فالمراد بالآخرة في الآية: الدار الآخرة وما فيها، والمراد بالأولى: الدار الدنيا وما فيها. وهو ما استظهره ابن جزي حيث قال: "والأول أظهر وأشهر".[٢] واختاره الإمام الآلوسي فقال: " وحمل الآخرة على الدار الآخرة المقابلة للدنيا والأولى على الدار الأولى وهي الدنيا هو الظاهر المروي عن أبي إسحاق وغيره".[٣]

قلت: حمل الآية على ظاهرها من خيري الدّنيا والآخرة معا أولى؛ إذ كل آجل أمره خير من عاجله في الدارين، فآخرته خير من أولاه، وعاقبة أمره أحسن من بدايته. **ويدل على صحة هذا القول:** أن ما في تعريف «الآخرة» و«الأولى» من التعميم يجعل معنى هذه الجملة في معنى التذييل الشامل لاستمرار الوحي وغير ذلك من الخير. وأن اللام في «الآخرة» و«الأولى» لام الجنس، أي كل آجل أمره هو خير من عاجله في هذه الدنيا وفي الأخرى.[٤]

وهو ما قرره ابن عطية حيث قال: "وقوله – تعالى–: ﴿ ﴾ يحتمل أن يريد الدارين الدنيا والآخرة، وهذا تأويل ابن إسحاق وغيره، ويحتمل أن يريد حاليه في الدنيا قبل نزول السورة وبعدها[٥]، فوعده الله – تعالى– على هذا التأويل بالنصر والظهور".[٦]

" كأنه لما بين أنه – سبحانه وتعالى– لا يزال يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا وعد له ما هو أعلى وأجل من ذلك في الآخرة، أو لنهاية أمرك خير من بدايته، فإنه ﷺ لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال". [٧]

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٩٧)
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٩٠)
(٣) روح المعاني (١٥/ ٣٧٧)
(٤) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٩٧) باختصار.
(٥) قال ابن جزي: " قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد بالآخرة حاله بعد نزول هذه السورة، ويريد بالأولى حاله قبل نزولها، وهذا بعيد، والأول أظهر وأشهر". (التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٩٠)
(٦) المحرر الوجيز (٥/ ٤٩٣، ٤٩٤)، ويراجع: البحر المحيط (١٠/ ٤٩٦)
(٧) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٣١٩)

قال الإمام الصاوي: "وقال بعض أهل الإشارات: في الآية إشارة إلى أنه ﷺ دائما يترقى في الكمالات إلى غير نهاية، فمقامه في المستقبل أعلى منه في الماضي، وهكذا".(١)

واللام في ﴿ ﴾ للاختصاص؛ لأن الآخرة لا تكون خيرا مطلقا لكل أحد، وإنما هو أمر مختص به ﷺ .

قال الخطيب الشربيني: "وَقَيَّدَ – تعالى– بقوله –سبحانه–: ﴿ ﴾؛ لأنها ليست خيراً لكل أحد".(٢) وقال ابن عاشور: " واللام في قوله: ﴿ ﴾ لام الاختصاص، أي خير مختص بك، وهو شامل لكل ما له تعلق بنفس النبي ﷺ في ذاته وفي دينه وفي أمته، فهذا وعد من الله بأن ينشر دين الإسلام، وأن يمكن أمته من الخيرات التي يأملها النبي ﷺ ".(٣)

*****

(١) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين (٤/ ٥٦٥)
(٢) السراج المنير (٤/ ٥٤٩)
(٣) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٩٧)

المبحث الثالث: وعده ﷺ بالعطاء الرباني الذي يرضيه.

من المنح الإلهية لخير البرية ﷺ: ما وعده ربه – تعالى– من العطاء الذي يرضيه، وذلك في قوله – تعالى–: ﴿ ﴾[1].

قال القاضي عياض: "هذه آية جامعة لوجوه الكرامة، وأنواع السعادة، وشتات الإنعام في الدارين".[2] ففي الآية "عِدَةٌ كريمةٌ شاملةٌ لمَا أعطاهُ الله – تعالى– في الدُّنيا، ولما ادخرَ لهُ في الآخرة من الكراماتِ التي لا يعلمُها إلا الله – تعالى–".[3]

قيل: إن هذه الآية هي أرجى آية في كتاب الله؛ وذلك أن رسول الله ﷺ لا يرضى ببقاء أحد من أمته في النار.[4]

وفي اتصال هذه الآية بما قبلها وجهان:

الأول: أنه – تعالى– لما بين أن الآخرة خير له من الأولى، ولكنه لم يبين أن ذلك التفاوت إلى أي حد يكون فبين بهذه الآية مقدار ذلك التفاوت، وهو أنه ينتهي إلى غاية ما يتمناه الرسول ويرتضيه.

الوجه الثاني: كأنه – تعالى– لما قال: ﴿ ﴾[5] فقيل: ولم قلت: إن الأمر كذلك؟ فقال: لأنه يعطيه كل ما يريده، وذلك مما لا تتسع الدنيا له، فثبت أن الآخرة خير له من الأولى.[6]

---

(١) سورة الضحى، الآية: ٥

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ٩٧)، ويراجع: الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٥/ ٦٠١)، محاسن التأويل (٩/ ٤٩٢)

(٣) إرشاد العقل السليم (٩/ ١٧٠)

(٤) المحرر الوجيز (٤/ ١٧٣)، الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٢٠٩)

(٥) سورة الضحى، الآية: ٤

(٦) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٤)

واختلفوا في هذا العطاء، فقال ابن عباس – رضي الله عنهما –: هي الشفاعة في أمته حتى يرضى. وقيل في معنى الآية: ولسوف يعطيك ربك من الثواب فترضى، وقيل: من النّصر والتّمكين وكثرة المؤمنين فترضى.(١)

وقد رجح بعض المفسرين قصر هذا العطاء على عطاء الآخرة فقط، كالأئمة: الطبري(٢)، وابن كثير(٣)، وابن أبي زمنين(٤)، ومكي بن أبي طالب(٥).

ورجح آخرون قصره على عطاء الدنيا، كالمراغي(٦)، وسيد قطب(٧)، وعبد الكريم الخطيب(٨)، ومحمد عبده(٩).

قلت: الأولى حمل الآية على العموم حتى تشمل كل ما يرضي رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة؛ لأن الآية الكريمة دلت على أن الله – تعالى– يعطيه ﷺ كل ما يرضيه، وذلك ليس قاصرا على الآخرة، بل هو عام في الدنيا والآخرة.

وإلى ترجيح هذا الوجه ذهب جمع من المفسرين، كالأئمة:

الرازي(١٠)، والبيضاوي(١١)، وابن جزي(١٢)، وأبي حيان(١٣)، والخطيب

(١) لباب التأويل (٤/ ٤٣٨)
(٢) جامع البيان (٢٤/ ٤٨٧)
(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٥)
(٤) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٥/ ١٤٢)
(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٣٢٥)
(٦) تفسير المراغي (٣٠/ ١٨٤)
(٧) في ظلال القرآن (٦/ ٣٩٢٧)
(٨) التفسير القرآني للقرآن (١٦/ ١٦٠١)
(٩) تفسير الأستاذ الإمام محمد عبده لفاتحة الكتاب وجزء عم (ص: ١٧٢)
(١٠) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٥)
(١١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٣١٩)
(١٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٩٠)
(١٣) البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٩٦، ٤٩٧)

الشربيني[١]، وأبي السعود[٢]، وابن عجيبة[٣]، والصاوي[٤]، والشوكاني[٥]، والقنوجي[٦]، والقاسمي[٧]، وغيرهم.

قال الإمام الخازن: "وحمل الآية على ظاهرها من خيري الدّنيا والآخرة معا أولى، وذلك أن الله – تعالى– أعطاه في الدّنيا النصر والظفر على الأعداء وكثرة الأتباع، والفتوح في زمنه، وبعده إلى يوم القيامة وأعلى دينه، وإن أمته خير الأمم، وأعطاه في الآخرة الشّفاعة العامة، والخاصة، والمقام المحمود، وغير ذلك مما أعطاه في الدّنيا والآخرة".[٨]

وقال الإمام القسطلاني: " ثم وعده بما تقرّ به عينه، وتفرح به نفسه، وينشرح له صدره، وهو أن يعطيه فيرضى. وهذا يعم ما يعطيه في الدنيا وما يعطيه بعد مماته، وما يعطيه فى موقف القيامة من الشفاعة والمقام المحمود، وما يعطيه في الجنة من الوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر.

وبالجملة: فقد دلت هذه الآية على أنه – تعالى– يعطيه ﷺ كل ما يرضيه".[٩]

"فحسب الرسول ﷺ الإعطاء الذي يرضيه، وليس وراء الرضى مطمح، ولا بعده غاية... ونرى مع هذا، أن في تحديد العطاء، جوراً عليه. والأليق بجلال الموقف أن يكتفي فيه بالرضى على ما أراد البيان القرآني، فوق كل تحديد، ووراء كل وصف!".[١٠]

---

(١) السراج المنير (٤/ ٥٥٠)
(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٩/ ١٧٠)
(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٧/ ٣١٨)
(٤) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين (٤/ ٥٦٥)
(٥) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٥٨)
(٦) فتح البيان في مقاصد القرآن (١٥/ ٢٧٩)
(٧) محاسن التأويل (٩/ ٤٩١، ٤٩٢)
(٨) لباب التأويل (٤/ ٤٣٨)، ويراجع: إرشاد العقل السليم (٩/ ١٧٠)
(٩) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٢/ ٥٦٠) باختصار.
(١٠) التفسير البياني للقرآن الكريم د. عائشة عبد الرحمن (١/ ٣٨ – ٤٠) باختصار.

واللام في: ﴿ ﴾ **وفي:** ﴿ ﴾ جزم صاحب «الكشاف»[١] بأنها لام الابتداء، وقدَّر مبتدأ محذوفا. والتقدير: ولأنت سوف يعطيك ربك. وقال: إن لام القسم لا تدخل على المضارع إلا مع نون التوكيد، وحيث تعين أن اللام لام الابتداء، ولام الابتداء لا تدخل إلا على جملة من مبتدأ وخبر تعين تقدير المبتدأ.

واختار ابن الحاجب[٢] أن اللام في ﴿ ﴾ لام التوكيد (يعني لام جواب القسم). ووافقه ابن هشام في «مغني اللبيب»[٣].[٤]

قلت: قول الزمخشري بأن اللام في الآية للابتداء، دخلت على الخبر بعد حذف المبتدأ... **مخالف لما عليه الجمهور من أن ذلك مع اتصال اللام بالفعل لا مع انفصاله عنها**، فإذا حصل فصل بينهما امتنعت النون وثبتت لام القسم وحدها. كما صرَّح به صاحب شرح التصريح.[٥]

وقد صرَّح ابن مالك بأن المضارع المثبت إن أريد به الاستقبال، وقرن به حرف التنفيس، أو قدّم عليه معموله، امتنع أيضا توكيده بالنون، ولزم جعل اللام مقارنة بحرف التنفيس أو للمعمول المتقدم: ومثَّل لمقارنتها حرف التنفيس بقوله – تعالى–: ﴿ ﴾.[٦]

وقال في شرح الكافية الشافية: "فلو قدم على الفعل المقسم عليه ما يتعلق به من جار أو غيره قرن المتعلق بلام القسم، واستغنى عن النُّون كقولك: "والله لزيدًا أكرم". وكذا لو كان مع الفعل "سوف"، أو السين كقولك: "والله لسوف أكرمك". فمن الأول قوله– تعالى–: ﴿ ﴾ **قال تعالى:** ﴿ ﴾[٧] ومن الثاني قوله– تعالى–: ﴿ ﴾".[٨]

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧٦٧)
(٢) ينظر قول ابن الحاجب في: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ص: ٣٠٢)
(٣) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ص: ٣٠٢، ٣٠٣)
(٤) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٩٨، ٣٩٩)
(٥) شرح التصريح على التوضيح (٢/ ٣٠١) باختصار.
(٦) شرح التسهيل لابن مالك (٣/ ٢٠٨)، ويراجع: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٤/ ٣١٨)
(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٥٨
(٨) شرح الكافية الشافية (٣/ ١٤٠٣)

"**وحرف الاستقبال الوارد في الآية**؛ لإفادة أن هذا العطاء الموعود به مستمر لا ينقطع".[١] قال الإمام الزمخشري: " فإن قلت: ما معنى الجمع بين حرفى التوكيد والتأخير؟ قلت: معناه أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر؛ لما في التأخير من المصلحة".[٢]

"**وحذف المفعول الثاني لـ ﴿ ﴾**؛ ليعم كل ما يرجوه ﷺ من خير لنفسه ولأمته، فكان مفاد هذه الجملة تعميم العطاء كما أفادت الجملة قبلها تعميم الأزمنة. **وجيء بفاء التعقيب في ﴿ ﴾**؛ لإفادة كون العطاء عاجل النفع بحيث يحصل به رضى المعطَى عند العطاء، فلا يترقب أن يحصل نفعه بعد تربص".[٣]

قال بعض المفسرين[٤]: وفي الحديث: لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: **[إِذا وَاللهِ لا أَرْضى وَوَاحِد من أمتِي فِي النَّار]** [٥].

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٩٨)
(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧٦٧)
(٣) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٩٨)
(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٩٦)، ويراجع: الكشف والبيان (١٠/ ٢٢٥)، الوجيز للواحدي (ص: ١٢١٠)، مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٤)، مدارك التنزيل (٣/ ٦٥٤)، غرائب القرآن (٦/ ٥١٦).
(٥) **ورد هذا الحديث موقوفا على ابن عباس – رضي الله عنهما –، من ثلاثة طرق ضعيفة:**
إحداها: أخرجها البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٤) حديث (١٣٧٤)، وهي رواية ضعيفة الإسناد؛ لضعف سلام بن سليمان (المجروحين لابن حبان (١/ ٣٤٢)، الضعفاء لأبي نعيم (ص: ٨٩)، وشَرِيك بْنُ عَبد اللَّهِ (الكامل في ضعفاء الرجال (٥/ ١٠)، وابن سويد.(الكامل في ضعفاء الرجال (٢/ ٢٣)
والثانية: أخرجها الطبري في تفسيره (٢٤/ ٤٨٧)، وهي رواية ضعيفة؛ فيها الحكم ابن ظهير، وهو ضعيف جداً. (أحوال الرجال (ص: ٦٠)، الكامل في ضعفاء الرجال (٢/ ٤٨٩ – ٤٩٥)
الثالثة: أخرجها الخطيب في تلخيص المتشابه في الرسم (١/ ١٧٣)، وفيها عبد الصمد ابن علي، ضعيف. (ميزان الاعتدال (٢/ ٦٢٠)، لسان الميزان (٤/ ٢٢)

قال ابن القيم: "وأما ما يغتر به الجهال من أنه لا يرضى وواحد من أمته في النار، أو لا يرضى أن يدخل أحد من أمته النار، فهذا من غرور الشيطان لهم ولعبه بهم، فإنه – صلوات الله وسلامه عليه – يرضى بما يرضى به ربه – تبارك وتعالى–، وهو –سبحانه– يدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة، ثم يحد لرسوله حداً يشفع فيهم، ورسوله ﷺ أعرف به وبحقه من أن يقول: لا أرضى أن تدخل أحدا من أمتى النار أو تدعه فيها، بل ربه – تبارك وتعالى – يأذن له فيشفع فيمن شاء الله أن يشفع فيه، ولا يشفع في غير من أذن له فيه ورضيه ".(١)

قال الإمام الزرقاني: "وقد رَدَّ العلامة الشريف الصفوي في شرح الشفاء على المصنف – أي القسطلاني–، التابع لابن القيم بأنه جراءة وسوء أدب، والوجه توجيه الحديث لوروده بطرق وإن ضعفت، ولا يبعد أن يكون عذاب العصاة غير مرضي لله تعالى، فلا يرضى له رسوله أيضًا؛ لأن رضاه على وفق رضا ربه....إلخ".(٢)

قلت: لا إشكال إن قلنا: إن المراد: أمته الذين أجابوا دعوته، واتبعوا سنته، واستقاموا على شريعته، فهي أمة الإجابة وليست أمة الدعوة.

لا سيما إن قلنا: إن "الرضا مجاز عن ترك الطلب، أي: لا أترك طلب العفو وواحد من أمتي في النار، ولا يلزم منه عدم الرضا حقيقة".(٣)

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: تَلا قَوْلَ اللهِ – عَزَّ وَجَلَّ – فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿**رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (٤)، وَقَالَ عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلامُ–: ﴿**إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص: ٧٣، ٧٤)، ويراجع: الداء والدواء (ص: ٢٣)، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٢/ ٥٦٠، ٥٦١)، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية (٨/ ٤٤٨، ٤٤٩)، تلبيس إبليس (ص: ٣٠٨).
(٢) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية (٨/ ٤٤٨، ٤٤٩).
(٣) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٨/ ٤٤٩)
(٤) سورة إبراهيم، من الآية: ٣٦

﴿ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ ﴾[1]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «**اللهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي**»، وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ–: «**يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟**» فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ – عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ – فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللهُ: «**يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلا نَسُوءُكَ** ».[2]

قال الإمام النووي: "وهذا من أرجى الأحاديث لهذه الأمة". ثم قال: "وهذا الحديث موافق لقول الله تعالى: ﴿ ﴾".[3]

والمراد بإرضائه ﷺ في أمته: شفاعته فيهم، كما في الحديث الذي ورد عن عَلِيٍّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « **أَشْفَعُ لأُمَّتِي حَتَّى يُنَادِي رَبِّي –عَزَّ وَجَلَّ–: أَرَضِيتَ يَا مُحَمَّدُ؟ فَأَقُولُ: نَعَمْ، يَا رَبِّ رَضِيتُ** ». ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تَقُولُونَ يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْعِرَاقِ: إِنَّ أَرْجَى آيَةً فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ ﴾[4] قُلْتُ: إِنَّا لَنَقُولُ ذَلِكَ، قَالَ: لَكِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ نَقُولُ: إِنَّ أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ –: ﴿ ﴾، وَهِيَ الشَّفَاعَةُ.[5]

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٨

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٩١) حديث (٣٤٦)، كتاب الإيمان، باب دعاء النبي ﷺ لأمته، وبكائه شفقة عليهم، وأخرجه غيره.

(٣) شرح النووي على مسلم (٣/ ٧٨، ٧٩)

(٤) سورة الزمر، من الآية: ٥٣

(٥) أخرجه البزار في مسنده (٢/ ٢٣٩) حديث (٦٣٨)، وقال: هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد عن عَلِيّ، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ٣٠٧) حديث (٢٠٦٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء – واللفظ له– (٣/ ١٧٩)، وقال: هذا حديث لم نكتبه إلا من حديث حَرْبِ بْنِ سُرَيْج، ولا رواه عنه إلا عمرو بن عاصم، وهو بصري ثقة، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٧٧) حديث (١٨٥١٦) وقال: رواه البزار، والطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن أحمد المداري، ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا على ضعف في بعضهم.

قلت: مدار هذا الحديث على حرب بن سريج، وقد قال فيه أبو حاتم: ينكر عن الثقات، وليس بقوي. وقال ابن عدي: ليس بكثير الحديث، وكل حديثه غريب وأفراد، وأرجو أنه لا بأس به. وقال البخاري: فيه نظر. وقال ابن حبان: **يخطئ كثيرا حتى خرج عن حد**

وخلاصة القول في هذه المسألة: أن سول الله ﷺ حريص على أمته الذين أجابوا دعوته، ولا يرضيه ﷺ أن يعذب في النار أهل التوحيد والطاعة، فلا يزال يشفع فيهم حتى يخرجهم من النار.

وهذه الشفاعة مقيدة بشروطها وضوابطها المذكورة في القرآن والسنة من نحو قوله – تعالى–: ﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[1]، وقوله ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا**».[2]

ومن ثم فرسول الله ﷺ لا يرضى إلا بما يرضى به الله – تعالى–.

وفي إيثار التعبير باسم الرب ما لا يخفى من اللطف والعناية والتشريف له ﷺ .

قال الإمام الآلوسي: "وفي إعادة اسم الرب مع إضافته إلى ضميره –عليه الصلاة والسلام – ما لا يخفى أيضًا من اللطف به ﷺ ".[3]

وقال ابن عاشور: "وتعريف ﴿ ﴾ بالإضافة دون اسم (الله) العلم؛ لما يؤذن به لفظ (رب) من الرأفة واللطف، وللتوسل إلى إضافته إلى ضمير المخاطب؛ لما في ذلك من الإشعار بعنايته برسوله وتشريفه بإضافة (رب) إلى ضميره".[4]

*****

الاحتجاج به إذا انفرد.(تهذيب التهذيب (٢/ ٢٢٤)، **ومن ثم فهذا الحديث ضعيف لأن حرب بن سريج انفرد به.**

(١) سورة الأنبياء، من الآية: ٢٨

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٦٧) حديث (٦٣٠٤، ٦٣٠٥) كتاب الدعوات، باب: لكل نبي دعوة مستجابة، (٩/ ١٣٩) حديث (٧٤٧٤) كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة، ومسلم في صحيحه – واللفظ له – (١/ ١٨٨ – ١٩٠) حديث (٣٣٤ – ٣٤٥)، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته، وأخرجه غيرهما.

(٣) روح المعاني (١٥/ ٣٨٠)

(٤) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٩٨)

المبحث الرابع: إيواؤه ﷺ في يتمه.

من المنح الإلهية لخير البرية: إيواؤه ﷺ في يتمه، وهو ما ورد في قوله – تعالى–: ﴿ ﴿ ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ ﴾ ﴾ ﴾[1]؛ إذ القصد من هذا تسليته ﷺ؛ ليزداد شكرا وصبرا.[2]

وهذه الآية وطيدة الصلة بما قبلها، فهي "استئناف مسوق مساق الدليل على تحقق الوعد، أي هو وعد جار على سنن ما سبق من عناية الله بك من مبدأ نشأتك ولطفه في الشدائد باطراد".[3]

فكأنه – تعالى– يقول: ما تركناك وما قليناك قبل أن اخترناك واصطفيناك أتظن أنَّا بعد الرسالة نهجرك ونخذلك.[4]

قلت: اتصالها بما تقدم ظاهر، فبعد أَنْ أخبره أَنَّ الآخرة خير له من الأولى وأنه – سبحانه وتعالى – سوف يعطيه حتى يرضى، بيَّن أن هذا دأبه معه في الماضي وهو مستمر عليه في المستقبل، فكما أحسن إليه في السابق يحسن إليه في اللاحق.

وفي هذا يقول الإمام البيضاوي: الآية "تعديد لما أنعم عليه؛ تنبيهاً على أنه كما أحسن إليه فيما مضى يحسن إليه فيما يستقبل وإن تأخر".[5]

ويقول الإمام الآلوسي: "تعديد لما أفاض عليه ﷺ من أول أمره إلى وقت النزول من فنون النعماء العظام؛ ليستشهد بالخاص الموجود على المترقب

(١) سورة الضحى، الآية: ٦
(٢) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين (٤/ ٥٦٦)
(٣) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٩٩) باختصار.
(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٥١٧)، ويراجع: مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٥، ١٩٦)
(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٣١٩)

الموعود، فيزداد قلبه الشريف وصدره الرحيب طمأنينة وسرورا وانشراحا وحبورا ".[1]

ففي هذه الآية "يقول – تعالى ذكره – معدّدا على نبيه محمد ﷺ نعمه عنده، ومذكِّره آلاءه قِبَله: ألم يجدك يا محمد ربك يتيمًا فآوى، يقول: فجعل لك مأوى تأوي إليه، ومنزلا تنزله".[2]

كما أن الآية الكريمة مرتبطة بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[3]، فالآية التي معنا تدل على أنه – سبحانه وتعالى – لم يتركه ولم يهجره، بل رعاه وآواه بعد يتمه. [4] والمعنى: وجدك يتيما فآواك.

قال الإمام الماتريدي: "ثم يحتمل قوله: ﴿شُغْلَةٌ﴾ وجوها:

أحدها: وجدك يتيما فآواك إلى عمك حتى ربَّاك ودفع عنك كل أذى وآفة، وساق إليك كل خير وبر، إلى أن بلغت المبلغ الذي بلغت.

والثاني: يقول: قد وجدك يتيما فآواك إلى عدو من أعدائك حتى تولى تربيك وبرك، وعطف عليك، وتولى عنك دفع المكروه والأذى، يذكر منته وعظيم نعمه عليه أنه كان ما ذكر، ثم صير عدوا من أعدائه أشفق الناس عليه وأعطف، واللَّه أعلم.

والثالث: قد وجدك يتيما فآواك إلى نفسه، وعطف عليك حتى اختصك واصطفاك للرسالة والنبوة؛ حتى صرت مذكورا في الدنيا والآخرة، وحتى أحوج جميع الناس إليك، وليس ذلك من أمر اليتيم أنه يبلغ شأنه وأمره إلى ما بلغ من أمرك وشأنك حتى صرت مخصوصا من بين الناس جميعا، فيما ذكرنا من اختصاصه إياك بالرسالة، وأحوج جميع الناس إليك؛ يذكر عظيم مننه ونعمه عليه".[5]

---

(١) روح المعاني (١٥/ ٣٨٠)، ويراجع: البحر المحيط (١٠/ ٤٩٧)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٩٠)، إرشاد العقل السليم (٩/ ١٧٠)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٥٨)، فتح البيان في مقاصد القرآن (١٥/ ٢٨٠)

(٢) جامع البيان (٤٨٧/٢٤، ٤٨٨)

(٣) سورة الضحى، الآية: ٣

(٤) على طريق التفسير البياني، د. فاضل السامرائي (١/ ١٢٧)

(٥) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٥٦٠)

واليتيم هو من مات أبوه[1]، وقد فقد النبي ﷺ أبويه في الصغر، فكفله جده عبد المطلب ، ثم مات فكفله عمه أبو طالب.

---

(١) **بالنظر في كتب اللغة نجد أن اليتيم وصف مأخوذ من اليتم، وهو الإنفراد**، واليتيم: هو المنفرد من كل شيء، يقال صبي يتيم أي: منفرد عن أبيه، وبيت من الشعر يتيم أي: مفرد لا نظير له، أو ليس قبله ولا بعده شيء من الشعر. وكل فرد يعز نظيره، يقال له يتيم، وكل منفرد ومنفردة عند العرب يتيم ويتيمة.

واليتيم في الناس من قِبَلِ الأب، ولا يقال لمن فقد الأم من الناس يتيم بل منقطع، وفي البهائم من قِبَل الأم، وفي الطيور من قبل الأب والأم، يقال: يتم الولد من الناس لمن فقد أباه قبل البلوغ، وقد يقال ذلك لمن بلغ، ويتم الصغير من الحيوان أو البهائم: من ماتت أمه أو انقطع عنها، يتم الفَرخ: فقد أحد أبويه، أو أن اليتيم مأخوذ من اليتم وهو الإبطاء والحاجة، أو من اليتم وهو الهم، يقال في سيره يتم أي: إبطاء، وسمي به اليتيم، لأن البر يبطئ عنه، واليتم: الحاجة، وبه سمي اليتيم يتيمًا لحاجته، واليتم بالتسكين: الهم، وبه سمي اليتيم يتيمًا لهمومه. (لسان العرب (٦٤٥/١٢)، مختار الصحاح (٣٤٨/١)، النهاية في غريب الأثر (٢٩٢/٥)، المصباح المنير (٦٧٩/٢) مادة "يتم").

ويعرف اليتيم في اصطلاح الشرع: بأنه من مات أبوه وهو دون البلوغ. (يراجع: الاختيار تعليل المختار (٨٧/٥)، بدائع الصنائع (٣٤٦/٧)، البحر الرائق (٥١٢/٨)، شرح منتهى الإرادات (٦٤٢/١)، الكافي في فقه ابن حنبل (٤٩٢/٢)، المغني (٣١٨/٦)، المهذب في فقه الإمام الشافعي (٢٤٧/٢)، الحاوي الكبير (٣٣٩/٦)

ويلاحظ مما سبق أن اسم اليتيم بحسب اللغة يقع على الصغار والكبار لبقاء الإنفراد عن الآباء، ولكن العرف الشرعي خصه بمن فقد أباه قبل أن يبلغ مبلغ الرجال إن كان ذكرًا، وقبل أن تبلغ مبلغ النساء إن كانت أنثى، "فإن رشد عند البلوغ واستقل بنفسه في النظر لها والمعرفة بمصالحها والنظر بوجود الأخذ والإعطاء منها زال عنه اسم اليتم ومعناه من الحجر، وإن بلغ الحلم وهو مستمر في غرارته وسفهه متماد على جهالته زال عنه اسم اليتم حقيقة، وبقي عليه حكم الحجر، وتمادى عليه الاسم مجازا لبقاء الحكم عليه". (أحكام القرآن لابن العربي ٤٠٢/١)

وإجمالا فقد ظهر من خلال استعراض معاني اليتيم في كتب اللغة أن معاني اليتيم في لغة العرب دلت على الانفراد، والغفلة، والانفلات، والإبطاء، القصور والفتور، والحاجة، والضعف، وهذه المعاني جميعها تنطبق على اليتيم؛ لأن جميع حالات الضعف تعتريه من غفلة وقصور وضعف وانفلات حال وحاجة لغيره، وتعتبر كلمة اليتيم من الكلمات الجامعة. =

فسماه يتيما؛ لأن أباه توفي وهو حَمْل في بطن أمه، وقيل: بعد أن ولد – عليه السلام–، ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين، ثم كان في كفالة جده عبد المطلب، إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره، ويكف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان، وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره، إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل، فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم، فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج، كما أجرى الله سنته على الوجه الأتم والأكمل. فلما وصل إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه، رضي الله عنهم أجمعين، وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به.(١)

"**وفي المراد باليتيم هنا وجهان: أحدهما: أنه أراد يتم الأبوة بموت من فقده من أبويه ، فعلى هذا في قوله** – تعالى–: ﴿ضُحَىٰ﴾ **رأيان:**

أحدهما: أي جعل لك مأوى لتربيتك ، وقيماً يحنو عليك ويكفلك وهو أبو طالب بعد موت عبد الله وعبد المطلب ، قاله مقاتل. **الثاني:** أي جعل لك مأوى لنفسك ، أغناك به عن كفالة أبي طالب ، قاله الكلبي.

والوجه الثاني: أنه أراد باليتيم: الذي لا مثيل له ولا نظير ، من قولهم: درة يتيمة ، إذا لم يكن لها مثيل ، **فعلى هذا في قوله:** ﴿ضُحَىٰ﴾ **رأيان: أحدهما:** فآواك إلى نفسه واختصك برسالته.

الثاني: أن جعلك مأوى الأيتام بعد أن كنت يتيماً ، وكفيل الأنام بعد أن كنت مكفولاً ، تذكيراً بنعمه عليه ، وهو محتمل".(٢)

= **ويظهر**: أن اليتيم من مات أبوه قبل بلوغ الحلم سواء كان غنيًا أو فقيرًا، ذكرًا أو أنثى. (المضامين التربوية المستنبطة من سورة الماعون وتطبيقاتها التربوية في الأسرة – بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، كلية التربية. إعداد / جابر مشبب القحطاني ص ١٠١، ١٠٢ بتصرف).

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٦)، ويراجع: تفسير السمعاني (٦/ ٢٤٤)

(٢) النكت والعيون (٦/ ٢٩٣، ٢٩٤) بتصرف.

قلت: الظاهر أن المعنى: "ألم يجدك يتيمًا صغيرًا حين مات أبواك، ولم يخلفا لك مالا، ولا مأوى، فضمك إلى عمك أبي طالب، حتى أحسن تربيتك؟"[١] ولذا عَدَّ الإمام الزمخشري من بدع التفاسير: أنه من قولهم: درة يتيمة، وأن المعنى: ألم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فآواك.[٢] وقال الإمام الشوكاني عن هذا الوجه: "وهو بعيد جدا".[٣]

والاستفهام في قوله: ﴿ ﴾ **تقريري**، فالهمزة لإنكار النفي وتقرير المنفى على أبلغ وجه، فكأنه قال: قد وجدك يتيمًا، والوجود بمعنى العلم، ومفعوله الأول: الضمير، ومفعوله الثاني: يَتِيماً، وقيلَ: بمعنى المصادقةِ، ويتيماً حال من مفعولِه.[٤]

قال الإمام الآلوسي: "وأنت تعلم أن المصادفة لا تصح في حقه –تعالى–؛ لأنها ملاقاة ما لم يكن في علمه سبحانه وتقديره جل شأنه، فلا بد من التجوز بها عن تعلق علمه عز وجل بذلك".[٥]

وجاء التعبير – والله أعلم – بـ ﴿ سُورَةُ ﴾ لسبب لفظي، وسبب معنوي. أما السبب اللفظي: فلأجل أن تتوافق رؤوس الآيات من أول السورة، وأما السبب المعنوي: فإنه لو كان التعبير (فآواك) اختص الإيواء به ﷺ والأمر أوسع من ذلك، فإن الله – تعالى– آواه، وآوى به، آوى به المؤمنين فنصرهم وأيدهم، ودفع عنهم، بل دافع عنهم –سبحانه وتعالى.[٦]

وقد أورد الإمام الرازي هنا سؤالين فقال: "السؤال الأول: كيف يحسن من الجواد أن يمن بنعمة، فيقول: ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ ﴾؟ والذي يؤكد هذا السؤال أن الله – تعالى– حكى عن فرعون أنه قال: ﴿ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الانفِطَارِ ﴾[٧] في معرض الذم لفرعون، فما كان مذموما من فرعون

(١) التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٥١١)
(٢) الكشاف (٤/ ٧٦٧، ٧٦٨)، البحر المحيط (١٠/ ٤٩٧)، روح المعاني (١٥/ ٣٨١)
(٣) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٥٨)
(٤) إرشاد العقل السليم (٩/ ١٧٠)، فتح البيان في مقاصد القرآن (١٥/ ٢٨٠)، روح المعاني (١٥/ ٣٨٠)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٩٩)
(٥) روح المعاني (١٥/ ٣٨٠)
(٦) تفسير ابن عثيمين: جزء عم (ص: ٢٣٦)
(٧) سورة الشعراء، من الآية: ١٨

كيف يحسن من الله؟ **الجواب:** أن ذلك يحسن إذا قصد بذلك أن يقوي قلبه ويعده بدوام النعمة، وبهذا يظهر الفرق بين هذا الامتنان وبين امتنان فرعون؛ لأن امتنان فرعون محبط؛ لأن الغرض: فما بالك لا تخدمني، وامتنان الله بزيادة نعمه، كأنه يقول: مالك تقطع عني رجاءك ألست شرعت في تربيتك، أتظنني تاركا لما صنعت، بل لا بد وأن أتمم عليك وعلى أمتك النعمة، كما قال:

﴿يس ۚ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾[1].

السؤال الثاني: أنه – تعالى– مَنَّ عليه بثلاثة أشياء، ثم أمره بأن يذكر نعمة ربه، فما وجه المناسبة بين هذه الأشياء؟ **الجواب:** وجه المناسبة أن نقول: قضاء الدَّيْن واجب، ثم الدَّيْن نوعان مالي وإنعامي، والثاني أقوى وجوبا؛ لأن المالي قد يسقط بالإبراء، والثاني يتأكد بالإبراء، والمالي يُقْضَى مرة فينجو الإنسان منه، والثاني يجب عليك قضاؤه طول عمرك، ثم إذا تعذر قضاء النعمة القليلة من منعم هو مملوك، فكيف حال النعمة العظيمة من المنعم العظيم، فكأن العبد يقول: إلهي أخرجتني من العدم إلى الوجود بشرا سويا، طاهر الظاهر نجس الباطن، بشارة منك أن تستر علي ذنوبي بستر عفوك، كما سترت نجاستي بالجلد الظاهر، فكيف يمكنني قضاء نعمتك التي لا حد لها ولا حصر؟ فيقول – تعالى–: الطريق إلى ذلك أن تفعل في حق عبيدي ما فعلته في حقك، كنت يتيما فآويتك فافعل في حق الأيتام ذلك، وكنت ضالا فهديتك فافعل في حق عبيدي ذلك، وكنت عائلا فأغنيتك فافعل في حق عبيدي ذلك. ثم إن فعلت كل ذلك فاعلم أنك إنما فعلتها بتوفيقي لك ولطفي وإرشادي، فكن أبدا ذاكرا لهذه النعم والألطاف".[2]

الحكمة في كون النبي ﷺ ولد يتيما:

قال الإمام الرازي: "**فإن قيل: ما الحكمة في أنه – تعالى– اختار له اليتم؟ قلنا فيه وجوه:**

أحدها: أن يعرف قدر اليتامى فيقوم بحقهم وصلاح أمرهم.

وثانيها: ليكون اليتيم مشاركا له في الاسم فيكرم لأجل ذلك، ومن ذلك.

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ١٥٠

(٢) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٦، ١٩٧) باختصار، ويراجع: لباب التأويل (٤/ ٤٣٩)، اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ٣٨٨، ٣٨٩)

وثالثها: أن من كان له أب أو أم كان اعتماده عليهما، فسلب عنه الولدان حتى لا يعتمد من أول صباه إلى آخر عمره على أحد سوى الله.

ورابعها: أن العادة جارية بأن اليتيم لا تخفى عيوبه بل تظهر، وربما زادوا على الموجود، فاختار – تعالى– له اليتم؛ ليتأمل كل أحد في أحواله، ثم لا يجدوا عليه عيبا، فيتفقون على نزاهته، فإذا اختاره الله للرسالة لم يجدوا عليه مطعنا.

وخامسها: جعله يتيما ليعلم كل أحد أن فضيلته من الله ابتداء؛ لأن الذي له أب فإن أباه يسعى في تعليمه وتأديبه.

وسادسها: أن اليتم والفقر نقص في حق الخلق، فلما صار محمد – عليه الصلاة والسلام– مع هذين الوصفين أكرم الخلق، كان ذلك قلبا للعادة، فكان من جنس المعجزات".(١)

ومن ثم كان لله – تعالى– في يتم محمد ﷺ حكمة يريدها سبحانه، ويتفضل بها على رسوله الأمين ﷺ، حيث يشير إلى أن محمدا ﷺ ولد في رعاية الله – تعالى–، فبرغم يتمه إلا أن الله أحاطه بالإيواء الشامل، فأحبه كل من رآه، بدءا بمراضعه ومرورا بمن شاركهم في طفولته وشبابه ورجولته.

فهو إيواء يتضمن الرعاية والاهتمام والمعاملة والتضحية في مودة صادقة، أغنت محمدا ﷺ عن رعاية الوالد الحنون.

وفي ولادته ﷺ يتيما فقيرا إشارة إلى بعض الحِكَم الإلهية، التي يمكن استنباطها في العصر الحديث، ومن أهم الحِكَم المستنبطة ما يلي:

١– أراد الله – تعالى– أن ينشأ محمد ﷺ محاطا بالرعاية الإلهية التامة منذ اللحظة الأولى لوجوده في الدنيا، وحتى لا تفسر خيرات الله له بسبب أبيه أو أمه أو بتأثير ماله وغناه.. ولو فكر عقلاء هذا الزمان في تميز هذا اليتيم عن أقرانه؛ لأدركوا شيئا عن هذه العناية الإلهية بمحمد ﷺ .

٢– في ولادته ﷺ يتيما فقيرا ردٌّ لأي شبهة يمكن أن يختلقها الأفاكون، كأن يقولوا: إن محمدا أخذ تعاليم النبوة من أبيه أو من أمه.

(١) مفاتيح الغيب (٣١/ ٢٠٠) بتصرف واختصار.

لقد بحث كفار مكة عن شخص له صلة برسول الله ﷺ ليزعموا أنه مؤلف الوحي، وأن محمدا يأخذ منه، وقد بيَّن الله كذبهم وضلالهم فيما يزعمون. فلو كان عبد الله والد النبي ﷺ حيا لسهل عليهم ادعاء أنه المعلم لولده، وأن الوحي من كلامه وتأليفه.. لكن الله – تعالى– قطع عنهم هذا الطريق بوفاة عبد الله، وميلاد محمد ﷺ بعد وفاته.

٣– وفي ولادته ﷺ يتيما تأكيد لحقيقة غائبة عن الكثير من الناس، وهي أن الأمور كلها بقدرة الله – تعالى–، وليس للإنسان في عمله إلا الكسب والميل، والله خالق كل شيء. ولو عقل الناس ذلك لعاشوا مؤمنين حقا، عن اقتناع ورضى، ولسلموا بالقدر. (١)

قيل لجعفر بن محمد الصادق: لم أوتم النبي ﷺ من أبويه؟ فقال: لئلا يكون لمخلوق عليه حق. (٢) وقيل للحسن: لم جعل الله – تعالى– النبي ﷺ يتيما؟ فقال: لئلا يكون لمخلوق عليه منة. فإن الله سبحانه هو الذي آواه وأدبه ورباه ﷺ . (٣)

فلم يكن يتمه ﷺ نقصا، وإنما كان كمالا(٤)، لأن ربه أدبه فأحسن تأديبه، فكان تكوين نفسه الزكية على الكمال خيرًا من تربية الأبوين.(٥)

*****

(١) السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي (ص: ١٧٧، ١٧٨) باختصار.
(٢) الكشف والبيان (١٠/ ٢٢٥)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٩٦)، اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ٣٨٨)، نظم الدرر (٢٢/ ١٠٩)
(٣) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي (٥/ ٣)، روح المعاني (٦/ ٥٩)
(٤) حاشية الصاوي على تفسيرالجلالين (٥٦٦/٤)
(٥) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٩٩)

المبحث الخامس: هدايته ﷺ من ضلاله.

من المنح الإلهية لخير البرية: هدايته ﷺ من ضلاله، وهو ما ورد في قوله – تعالى–: ﴿الْبَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ الْمَائِدَة﴾[1].

وهذه الآية متصلة بسابقتها على أتم وجه: فلما كان يلزم من اليتم في الغالب عدم العلم لليتيم لتهاون الكافل، ومن عدم العلم الضلال، قال مبيناً أن يتمه كان نعمة عظيمة عليه؛ لأنه لم يكن على دين قومه في حين من الأحيان أصلاً: ﴿الْبَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ الْمَائِدَة﴾.[2]

وهي أيضا مرتبطة بقوله – تعالى–: ﴿ ﴾[3]، فإنه – تعالى– وجده ﷺ ضالا فهداه، فكان أول أمره الضلال وآخرته الهداية، فالآخرة خير له من الأولى. [4]

ومعنى قوله – تعالى–: ﴿الْبَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ﴾ أي لا تعلم الشرائع، كما في قوله – تعالى–: ﴿ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله﴾[5]". [6]

ومعناه: أنه لم يكن يعرف تفصيل الشريعة وفروعها حتى بعثه الله، ولكنه ما كفر بالله، ولا أشرك به؛ لأنه كان معصوما من ذلك قبل النبوة وبعدها. [7]

قال الإمام الواحدي: "قال أكثر المفسرين: ﴿الْبَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ﴾ عن معالم النبوة، وأحكام الشريعة، غافلا عنها، فهداك إليها.

---

(١) سورة الضحى، الآية: ٧
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٢/ ١٠٩)
(٣) سورة الضحى، الآية: ٤
(٤) على طريق التفسير البياني، د. فاضل السامرائي (١/ ١٢٨) بتصرف يسير.
(٥) سورة الشورى، من الآية: ٥٢
(٦) نظم الدرر (٢٢/ ١٠٩) باختصار.
(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٩١)

دليله: قوله – تعالى–: ﴿الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ﴾ [1]، وقوله: ﴿﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صدق الله﴾﴾، وهذا القول هو اختيار الزجاج[2]، قال: معناه: أنه لم يكن يدري القرآن، ولا الشرائع، فهداه الله إلى القرآن، وشرائع الإسلام".[3] وهذا القول هو اختيار أكثر المفسرين، كابن أبي زمنين[4]، والواحدي[5]، وابن عطية[6]، والنسفي[7]، وابن جزي[8]، وابن رجب[9]، وابن عجيبة[10]، والآلوسي[11]، وغيرهم.

وزعم بعض المفسرين أن الضلال هنا هو الكفر، كقول الكلبي: وجدك ضالا يعني كافرا في قوم ضلال فهداك للتوحيد[12]، وقول السدي: كان على دين قومه أربعين سنة[13]، وقول مجاهد: وجدك ضالا عن الهدى لدينه".[14]

---

(١) سورة يوسف، من الآية: ٥٢
(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٤٠)
(٣) التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٥١١)
(٤) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٥/ ١٤٢)
(٥) التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٥١١)، الوجيز للواحدي (ص: ١٢١١)
(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٤٩٤)
(٧) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٦٥٤، ٦٥٥)
(٨) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٩١)
(٩) تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ٥٩٢)
(١٠) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٧/ ٣١٨)
(١١) روح المعاني (١٥/ ٣٨١)
(١٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٢٢٦)، وأورده ابن عطيه في تفسيره (٥/ ٤٩٤)، وابن الجوزي في تفسيره (٤/ ٤٥٨)، والرازي في تفسيره تفسير (٣١/ ١٩٧)، والقرطبي في تفسيره (٢٠/ ٩٧)، وابن عادل الحنبلي في تفسيره (٢٠/ ٣٨٩)، والشوكاني في تفسيره (٥/ ٥٥٨).
(١٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٤٨٨، ٤٨٩)، والثعلبي في تفسيره (١٠/ ٢٢٦)، وأورده الرازي في تفسيره (٣١/ ١٩٧)، والقرطبي في تفسيره (٢٠/ ٩٧)، وابن عادل في تفسيره (٢٠/ ٣٨٩)، والشوكاني في تفسيره (٥/ ٥٥٨).
(١٤) ذكره الرازي في تفسيره (٣١/ ١٩٧)

قلت: هذه أقوال في غاية الفساد والبطلان، ولا تليق بمقام النبي ﷺ، ويكفي في ردها قوله – تعالى–: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ **قال تعالى:** ﴿ ﴾[1]، ولذلك أنكرها جمهور المفسرين، فقال الإمام الرازي معقبا عليها: "وأما الجمهور من العلماء فقد اتفقوا على أنه –عليه السلام– ما كفر بالله لحظة واحدة".[2]

وقال الإمام النسفي: "ولا يجوز أن يفهم به عدول عن حق ووقوع في غيى، فقد كان – عليه السلام – من أول حاله إلى نزول الوحي عليه معصوماً من عبادة الأوثان وقاذورات أهل الفسق والعصيان".[3]

وقال الإمام الخازن: "ولا يلتفت إلى قول من قال: إنه ﷺ كان قبل النّبوة على ملة قومه، فهداه الله إلى الإسلام؛ لأن نبينا ﷺ، وكذلك الأنبياء قبله منذ ولدوا نشئوا على التّوحيد والإيمان، قبل النّبوة وبعدها، وأنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بصفات الله – تعالى– وتوحيده، ويدل على ذلك: أن قريشا لما عابوا النبي ﷺ ورموه بكل عيب سوى الشّرك وأمر الجاهلية، فإنهم لم يجدوا لهم عليه سبيلا؛ إذ لو كان فيه لما سكتوا عنه ولنقل ذلك، فبرأه الله – تعالى– من جميع ما قالوه فيه وعيروه به".[4]

وقال أبو حيان: "لا يمكن حمله على الضلال الذي يقابله الهدى؛ لأن الأنبياء معصومون من ذلك".[5]

---

(١) سورة النجم، الآية: ٢
(٢) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٧)
(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٦٥٥)
(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل (٤/ ٤٣٨، ٤٣٩)
(٥) البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٩٧)، ويراجع: التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٠٠)

وقد أورد المفسرون أقوالا كثيرة في تفسير هذه الآية، أوصلها الإمام الرازي إلى عشرين قولا، منها ما لا يليق بالنبي ﷺ كتفسير الضلال بالكفر، ومنها ما لا يتناسب مع ظاهر الآية، أو اللغة، أو السياق الذي وردت فيه.

قال الإمام الرازي: ثم ذكروا في تفسير هذه الآية وجوها كثيرة: أحدها: ما روي عن ابن عباس والحسن والضحاك وشهر بن حوشب: وجدك ضالا عن معالم النعمة وأحكام الشريعة، غافلا عنها، فهداك إليها، وهو المراد من قوله: ﴿﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صدق الله ﴾[1]، وقوله: ﴿الأخفش محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور ﴾. [2]

وثانيها: ضل عن مرضعته حليمة حين أرادت أن ترده إلى جده حتى دخلت إلى هبل وشكت ذلك إليه، فتساقطت الأصنام، وسمعت صوتا يقول: إنما هلاكنا بيد هذا الصبي، وفيه حكاية طويلة.

وثالثها: ما روي مرفوعا أنه – عليه الصلاة والسلام – قال: «ضللت عن جدي عبد المطلب وأنا صبي ضائع، كاد الجوع يقتلني، فهداني الله».[3]

ورابعها: أنه – عليه السلام – لما خرج مع غلام خديجة ميسرة أخذ كافر بزمام بعيره حتى ضل، فأنزل الله – تعالى– جبريل – عليه السلام – في صورة آدمي، فهداه إلى القافلة، وقيل: إن أبا طالب خرج به إلى الشام فضل عن الطريق فهداه الله – تعالى–.

وخامسها: يقال: ضل الماء في الليل إذا صار مغمورا، فمعنى الآية: كنت مغمورا بين الكفار بمكة فقواك الله – تعالى– حتى أظهرت دينه.

---

(١) سورة الشورى، من الآية: ٥٢

(٢) سورة يوسف، من الآية: ٣

(٣) لم أقف عليه في شيء من الكتب المسندة، وإنما ورد في الكتب التالية: مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٧)، غرائب القرآن (٦/ ٥١٧)، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢/ ٦٤١)، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٢/ ٥٩٤)، السيرة الحلبية (١/ ١٣٩)، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية (٩/ ٩)

وسادسها: العرب تسمي الشجرة الفريدة في الفلاة ضالة[1]، كأنه – تعالى– يقول: كانت تلك البلاد كالمفازة ليس فيها شجرة تحمل ثمر الإيمان بالله ومعرفته إلا أنت، فأنت، شجرة فريدة في مفازة الجهل فوجدتك ضالا فهديت بك الخلق.

وسابعها: ووجدك ضالا عن معرفة الله – تعالى– حين كنت طفلا صبيا، كما قال: ﴿الرَّحْمَٰنُ الْوَاقِعَةُ الْحَدِيدُ الْمُجَادَلَةُ الْحَشْرُ الْمُمْتَحَنَةُ الصَّفُّ الْجُمُعَةُ﴾[2]، فخلق فيك العقل والهداية والمعرفة، والمراد من الضال: الخالي عن العلم، لا الموصوف بالاعتقاد الخطأ.

وثامنها: كنت ضالا عن النبوة، ما كنت تطمع في ذلك، ولا خطر شيء من ذلك في قلبك، فإن اليهود والنصارى كانوا يزعمون أن النبوة في بني إسرائيل، فهديتك إلى النبوة التي ما كنت تطمع فيها البتة.

وتاسعها: أنه قد يخاطب السيد، ويكون المراد قومه فقوله: ﴿الْبَقَرَةُ آلِ عِمْرَانَ﴾ أي وجد قومك ضلالا، فهداهم بك وبشرعك.

وعاشرها: وجدك ضالا عن الضالين منفردا عنهم مجانبا لدينهم، فكلما كان بعدك عنهم أشد كان ضلالهم أشد، فهداك إلى أن اختلطت بهم ودعوتهم إلى الدين المبين.

الحادي عشر: وجدك ضالا عن الهجرة، متحيرا في يد قريش متمنيا فراقهم وكان لا يمكنك الخروج بدون إذنه – تعالى–، فلما أذن له ووافقه الصديق عليه وهداه إلى خيمة أم معبد، وكان ما كان من حديث سراقة، وظهور القوة في الدين كان ذلك المراد بقوله: ﴿النِّسَاءِ﴾.

---

(١) قال ابن السكيت: الضال من السدر: ما نبت في الجبل أو بعيدا من الماء، واحدته: ضالة. وقال أبو هلال العسكري: مَا كان منَ السِّدرِ برِّياً يُقالُ لهُ: الضَّالُ، الواحدةُ: ضالةٌ، مخفَّفٌ. (غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٢٦٦)، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء (ص: ٣٠٣)، المخصص (٣/ ٢٥٧)، لسان العرب (١١/ ٣٩٧)، مادة: ضيل.

(٢) سورة النحل، من الآية: ٧٨

الثاني عشر: ضالا عن القبلة، فإنه كان يتمنى أن تجعل الكعبة قبلة له، وما كان يعرف أن ذلك هل يحصل له أم لا؟ فهداه الله بقوله: ﴿ الْمُؤْمِنُونَ الْبُرْقَانِ الشِّعْرَاءِ ﴾ [1]، فكأنه سمي ذلك التحير بالضلال.

الثالث عشر: أنه حين ظهر له جبريل – عليه السلام – في أول أمره ما كان يعرف أهو جبريل أم لا ؟ وكان يخافه خوفا شديدا، وربما أراد أن يلقي نفسه من الجبل، فهداه الله حتى عرف أنه جبريل – عليه السلام –.

الرابع عشر: الضلال بمعنى المحبة كما في قوله: ﴿ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ ﴾[2] أي محبتك، ومعناه: أنك محب فهديتك إلى الشرائع التي بها تتقرب إلى خدمة محبوبك.

الخامس عشر: ضالا عن أمور الدنيا، لا تعرف التجارة ونحوها، ثم هديتك حتى ربحت تجارتك، وعظم ربحك، حتى رغبت خديجة – رضي الله عنها – فيك، والمعنى: أنه ما كان لك وقوف على الدنيا، وما كنت تعرف سوى الدين، فهديتك إلى مصالح الدنيا بعد ذلك.

السادس عشر: ﴿ الْبَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ ﴾ أي ضائعا في قومك، كانوا يؤذونك، ولا يرضون بك رعية، فقوى أمرك وهداك إلى أن صرت آمرا واليا عليهم.

السابع عشر: كنت ضالا، ما كنت تهتدي على طريق السموات، فهديتك إذ عرجت بك إلى السموات ليلة المعراج.

الثامن عشر: ﴿ الْبَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ ﴾ أي ناسيا؛ لقوله – تعالى–: ﴿ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ ﴾[3] فهديتك أي ذكرتك، وذلك أنه ليلة المعراج نسي ما يجب أن يقال بسبب الهيبة، فهداه الله – تعالى– إلى كيفية الثناء حتى قال: «**لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ**».[4]

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ١٤٤
(٢) سورة يوسف، من الآية: ٩٥
(٣) سورة البقرة، من الآية: ٢٨٢
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٣٥١، ٣٥٢) حديث (٢٢١) كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، وأخرجه غيره.

التاسع عشر: أنه وإن كان عارفا بالله بقلبه إلا أنه كان في الظاهر لا يُظْهِر لهم خلافا، فعبَّر عن ذلك بالضلال.

العشرون: روى علي – عليه السلام – عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا هَمَمْتُ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْمَلُونَ بِهِ غَيْرَ مَرَّتَيْنِ، كُلُّ ذَلِكَ يَحُولُ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَا أُرِيدُ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بَعْدَهَا بِشَيْءٍ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ**» [(١)] .[(٢)]

ويبدو لي أن هذه الأقوال الواردة في تفسير الآية ما هي إلا محاولة من أصحابها للفرار من تفسير الضلال بالكفر أو نحوه، وأرى أنه لا حاجة إلى كل هذه الأقوال؛ لأن هذه الآية ورد تفسيرها في القرآن الكريم نفسه، في قوله – تعالى–: ﴿﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صدق الله﴾﴾[(٣)]، ودلَّ القرآن الكريم أيضا على استحالة تفسير الضلال هنا بالكفر، وذلك في قوله – تعالى–: ﴿﴿اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قال تعالى: ﴿﴿بِسْمِ﴾﴾[(٤)]، وكما هو مقرر عند العلماء فإن أحسن طرق التفسير: تفسير القرآن بالقرآن.

ومن ثم قالت بنت الشاطئ: "وما بنا حاجة إلى كل هذه التأويلات، ما ذكرناه منها وما لم نذكر، بل يكتفي في الرد على من فسروا الضلال بالكفر،

---

(١) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة (٢/ ٣٨٤) حديث (١٧٢١)، والبزار في مسنده (٢/ ٢٤٠) حديث (٦٤٠)، وقال: هذا الحديث لا نعلمه يروى إلا عن علي بهذا الإسناد، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٧٣) حديث (٧٦١٩)، كتاب التوبة والإنابة، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأقرَّه الذهبي في التلخيص، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٢٦)، (١٣٨٦٤)، وقال: رواه البزار، ورجاله ثقات. وأورده ابن حجر في المطالب العالية (١٧/ ٢٠٩) وقال: هذه الطريق حسنة جليلة، وهو حديث حسن متصل، ورجاله ثقات، وأورده السيوطي في مناهل الصفا (ص: ٥٩) حديث (١٦٣) وقال: رواه البزار بسند صحيح. وضعَّفه ابن كثير، فقال: وهذا حديث غريب جدا، وقد يكون عن عَلِيّ نفسه. (السيرة النبوية لابن كثير (١/ ٢٥٢)، البداية والنهاية (٢/ ٣٥١)، وضعَّفه الألباني في تخريجه لأحاديث فقه السيرة للغزالي (ص: ٧٣).

(٢) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٧ – ١٩٩) باختصار، ويراجع: تأويلات أهل السنة (١٠/ ٥٦٠، ٥٦١)، النكت والعيون (٦/ ٢٩٤)، زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٥٨)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٩٦ – ٩٩)، السراج المنير (٤/ ٥٥١)، البحر المديد (٧/ ٣١٨)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٥٨)

(٣) سورة الشورى، من الآية: ٥٢

(٤) سورة النجم، الآية: ٢

أن الاستعمال القرآني لا يلتزم دائماً هذا المعنى الاصطلاحي، وإنما لحظ فيه الأصل اللغوي من ضلال الطريق، أو عدم الاهتداء إلى الصواب. قال إخوة يوسف لأبيهم" ﴿الأستل المرسلات النبإ النازعات عبس التكوير﴾[1]وقالوا: ﴿النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة﴾[2]، وليس الضلال هنا كفراً، وإنما هو الشغف بيوسف.

وقالت النسوة في امرأة العزيز ويوسف: ﴿الغاشية الفجر البلد الشمس الليل الضحى الشرح التين العلق القدر﴾. [3] ، وفي سورة الشعراء حكاية عن موسى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم **قال تعالى:**﴾. [4] وفي شهادة رجل وامرأتين على الدين يقول – تعالى–: ﴿يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف﴾. [5]

وليس شيء من هذه الآيات بالذي يحمل الضلال فيه، على معناه الاصطلاحي وهو الكفر.

فالاحتكام إلى القرآن الكريم نفسه، يعفينا من التزام المصطلح في لفظ الضلال بمعنى الكفر، وهو أيضاً يعفينا من تلك التأويلات العشرين التي تكلفوها في تفسير الآية؛ لينفوا الكفر عن سيدنا محمد قبل أن يبعث.

وغريب عندنا كذلك، أن نتصور أن الله منَّ على رسوله، بأنه رده إلى أهله حين ضل في شعاب مكة، أو عند حليمة، أو في طريق الشام! وإن من صغار الأطفال من يضل فيرده إلى أهلهم راد، ربما كوفئ ببضعة دراهم نظير معروفه! ومثله في الغرابة، أن تكون نعمة الله على من اصطفاه لرسالته: أن ربحت تجارته، بعد ضلالة في أمورها وفي شئون الدنيا!

(١) سورة يوسف، من الآية: ٩٥
(٢) سورة يوسف، من الآية: ٨
(٣) سورة يوسف، من الآية: ٣٠
(٤) سورة الشعراء، الآية: ٢٠
(٥) سورة البقرة، من الآية: ٢٨٢

ولا نقول هنا إلا ما قاله الله – تعالى– لنبيه المصطفى ﷺ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صدق الله﴾[1].

ونحن بهذا في غنى عما لجأ إليه أبو حيان[2] في رؤياه، من افتراض مضاف محذوف، على تقدير: وجد رهطك ضالاً فهداه بك".[3]

قال الإمام محمد عبده: "وليس في وصف النبي – عليه السلام – بالضال على هذا المعنى شين له أو حط من شأنه، بل هذا هو فخره وإكليل مجده، لم يكن عالما فعلمه الله، ولم يكن مطلعا إلى الغيب فأطلعه الله". ثم قال: "وبهذا التفسير تستغني عن خلط المفسرين في التأويل".[4]

*****

(١) سورة الشورى، من الآية: ٥٢
(٢) ينظر: البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٩٧)
(٣) التفسير البياني للقرآن الكريم (١/ ٤٥ – ٤٧) بتصرف واختصار.
(٤) تفسير الأستاذ الإمام محمد عبده لفاتحة الكتاب وجزء عم (ص: ١٧٤)

المبحث السادس: إغناؤه ﷺ بعد فقره.

من المنح الإلهية لخير البرية: إغناؤه ﷺ بعد فقره، وهو ما ورد في قوله – تعالى–: ﴿الأنعام الأعراف الأنفال التوبة﴾[1]. فجمع الله له بين مقامي الفقير الصابر والغني الشاكر، صلوات الله وسلامه عليه.[2]

وهذه الآية مرتبطة بقوله – تعالى–: ﴿بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[3]؛ فإنه – تعالى– لم يتركه لفقره، بل أغناه من فضله. **ومرتبطة بقوله – تعالى–:** ﴿﴾[4] فإن الفقر أول أمره، وآخرته الغنى، فالآخرة خير له من الأولى.[5]

وكأن الله – عز وجل – يقول لنبيه ﷺ: "فمن آواك في يتمك، وهداك من ضلالك، وأغناك من فقرك، لا يتركك في مستقبل أمرك". [6]

فالآية تأتي في سياق النعم التي مَنَّ الله بها على نبيه ﷺ، "فهذه كلها نعم من الله على النبي ﷺ يذكره بها وينبهه على شكرها ويعددها عليه ليذكرها".[7]

والعائل: الذي لا مال له، والفقر يسمى عيلة، قال – تعالى–: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ﴾[8]. [9]

---

(١) سورة الضحى، الآية: ٨
(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٧)
(٣) سورة الضحى، الآية: ٣
(٤) سورة الضحى، الآية: ٤
(٥) على طريق التفسير البياني، د. فاضل السامرائي (١/ ١٢٧)
(٦) تفسير الأستاذ الإمام محمد عبده لفاتحة الكتاب وجزء عم (ص: ١٧٤)
(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٣٢٧)
(٨) سورة التوبة، من الآية: ٢٨
(٩) التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٠٠)

قال الراغب الأصفهاني: "يقال: عَالَ الرّجل: إذا افتقر، يَعِيلُ عَيْلَةً، فهو عَائِلٌ، وأما أَعَالَ: إذا كثر عِيَالُهُ فمن بنات الواو".[١] "والْعَيْلَةُ: الْفَاقَةُ وَالْحَاجَةُ، يُقَالُ: عَالَ يَعِيلُ عَيْلَةً، إِذَا احْتَاجَ".[٢]

وقال ابن قتيبة: العائل: الفقير، كان له عيال، أو لم يكن يقال: عال الرجل: إذا افتقر. وأعال: إذا كثر عياله. [٣] وقال الإمام الرازي: العائل هو ذو العيلة، ويدل عليه قوله –تعالى–: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ﴾[٤]، ثم أطلق العائل على الفقير، وإن لم يكن له عيال[٥]؛ لأن الفقر من لوازم العول.[٦]

وهاهنا في تفسير العائل قولان:

الأول: وهو المشهور أن المراد هو الفقير، ويدل عليه ما روي أنه في مصحف عبد الله: (ووجدك عديما) [٧]، وقرئ عَيِّلا[٨] – بكسر الياء المشددة – كسيد وطيب وهين. [٩]

قال الرازي: ثم في كيفية الإغناء وجوه، الأول: أن الله – تعالى– أغناه بتربية أبي طالب، ولما اختلت أحوال أبي طالب أغناه الله بمال خديجة، ولما

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٥٩٧)
(٢) مقاييس اللغة (٤/ ١٩٨) مادة: (عَيَلَ).
(٣) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٥٨)
(٤) سورة التوبة، من الآية: ٢٨
(٥) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٩)
(٦) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٥١٨)
(٧) هكذا في: جامع البيان (٢٤/ ٤٨٨)، الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٣٢٧)، المحرر الوجيز (٥/ ٤٩٥)، مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٩)، اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ٣٩٢)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨/ ٥٤٤، ٥٤٥)، مراح لبيد (٢/ ٦٤١)، معجم القراءات، د. عبد الكريم الخطيب (٤٨٣/١٠).
(٨) قرأ الجمهور: «عائلا»، وقرأ محمد بن السميقع اليماني «عيلا» بكسر الياء المشددة كسَيِّد. (الكشف والبيان (١٠/ ٢٢٩)، الكشاف (٤/ ٧٦٨)، المحرر الوجيز (٥/ ٤٩٤)، مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٩)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٠٠)، البحر المحيط (١٠/ ٤٩٧)، الدر المصون (١١/ ٤٠)، اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ٣٩١)، إرشاد العقل السليم (٩/ ١٧١)، روح المعاني (١٥/ ٣٨٢)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٥٩)، فتح البيان في مقاصد القرآن (١٥/ ٢٨٢)، معجم القراءات، د. عبد الكريم الخطيب (٤٨٣/١٠).
(٩) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٩) بتصرف.

اختل ذلك أغناه الله بمال أبي بكر، ولما اختل ذلك أمره بالهجرة وأغناه بإعانة الأنصار، ثم أمره بالجهاد، وأغناه بالغنائم، وإن كان إنما حصل بعد نزول هذه السورة، لكن لما كان ذلك معلوم الوقوع كان كالواقع". [١] **واعترض عليه:** بأن فيه نظر؛ لأن السورة مكية، والغنائم إنما كانت بعد الهجرة؛ لأن الجهاد ما فرض إلا بالمدينة.[٢]

الثاني: أغناه بأصحابه، كانوا يعبدون الله سرا حتى قال عمر حين أسلم: ابرز، أتعبد اللات جهرا ونعبد الله سرا ؟! فقال عليه السلام: حتى تكثر الأصحاب، فقال حسبك الله وأنا، فقال – تعالى–: ﴿بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [٣]﴾[٤] فأغناه الله بمال أبي بكر، وبهيبة عمر.

الثالث: أغناك بالقناعة فصرت بحال يستوي عندك الحجر والذهب، لا تجد في قلبك سوى ربك، فربك غني عن الأشياء لا بها، وأنت بقناعتك استغنيت عن الأشياء، وإن الغنى الأعلى: الغنى عن الشيء لا به". [٥]

قال الكلبي[٦] ومقاتل[٧]: فأغنى أي: رضاك بما أعطاك من الرزق،

واختار هذا الفراء[٨]، قال: لأنه لم يكن غنيا من كثرة، ولكن الله – سبحانه – رضاه بما آتاه، وذلك حقيقة الغنى. [٩]

الرابع: كنت عائلا عن البراهين والحجج، فأنزل الله عليك القرآن، وعلمك ما لم تكن تعلم فأغناك.

---

(١) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٩) باختصار.
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٩٩)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٥٩)، روح المعاني (١٥/ ٣٨٢)
(٣) سورة الأنفال، من الآية: ٦٤
(٤) ذكره الرازي في تفسيره (٣١/ ١٩٩)، والجاوي في تفسيره (٢/ ٦٤١)، ولم أقف عليه عند غيرهما.
(٥) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٩، ٢٠٠) باختصار.
(٦) التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٥١١)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٥٩)، فتح البيان في مقاصد القرآن (١٥/ ٢٨٢)
(٧) المحرر الوجيز (٥/ ٤٩٤)، البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٩٧)
(٨) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٧٤)
(٩) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٥٩)

القول الثاني في تفسير العائل: أنت كنت كثير العيال، وهم الأمة، فكفاك. وقيل: فأغناهم بك؛ لأنهم فقراء بسبب جهلهم، وأنت صاحب العلم، فهداهم على يدك".[١]

ولم يرتض الإمام الآلوسي هذا الرأي الأخير فقال: وحمل العيال – أي على تفسير عائِلا بـ (ذا عيال) – على عيال الأمة الطالبة منه معرفة مصالح الدين مع احتياجه إلى المعرفة فأغناه الله – تعالى– بالوحي إليه – عليه الصلاة والسلام – **ولا يخفى ما فيه.** [٢]

وقيل: غناؤه ﷺ هو أن أعطاه الله الكفاف. **وقيل:** هو رضاه بما أعطاه الله. **وقيل:** المعنى وجدك فقيرا إليه فأغناك به.[٣] **وقيل:** ووجدك فقيرا إلى رحمة الله وعفوه، فأغناك بمغفرته لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر.[٤] **ويقال:** أغناك عن السؤال حينما أعطاك ابتداء بلا سؤال منك.[٥]

وقيل: وجدك العائلُ الفقير فأغناه الله بك.[٦] **قلت:** هذا قول بعيد، ولا يتناسب مع السياق التي وردت فيه الآية.

ويظهر لي: أن المراد: وجدك فقيرا لا مال لك فأغناك. **وإلى تفسير الآية بنحو هذا ذهب جمهور المفسرين.** [٧]

قال ابن جرير: "يقول: ووجدك فقيرا فأغناك، يقال منه: عال فلان يَعيل عَيْلَة، وذلك إذا افتقر".[٨] وقال الشوكاني: "أي: وجدك فقيرا لا مال لك فأغناك، يقال: عال الرجل يعيل عيلة إذا افتقر".[٩]

---

(١) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٩، ٢٠٠) باختصار.
(٢) روح المعاني (١٥/ ٣٨٢)
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٩١)
(٤) المفردات في غريب القرآن (ص: ٥٩٧)
(٥) لطائف الإشارات (٣/ ٧٤٢)
(٦) النكت والعيون (٦/ ٢٩٤)
(٧) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٥٩٢)، الكشف والبيان (١٠/ ٢٢٩)، الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٣٢٧)، لطائف الإشارات (٣/ ٧٤١)، التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٥١١)، الوجيز للواحدي (ص: ١٢١١)، تفسير السمعاني (٦/ ٢٤٥)، تفسير البغوي (٥/ ٢٦٨)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٩٩)، مدارك التنزيل (٣/ ٦٥٥)، لباب التأويل (٤/ ٤٣٩)، إرشاد العقل السليم (٩/ ١٧١).
(٨) جامع البيان (٢٤/ ٤٨٨)
(٩) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٥٩)

وعليه يظهر أن المراد الفقر والغنى في المال، فقد كان فقيرا فأغناه الله بما جعل له من ربح التجارة وما وهبته له خديجة – رضي الله عنها – من مالها. ومن ثم قال ابن جزي: "وهذا الفقر والغنى هو في المال".[١] وقال ابن عطية: "والجمهور على أنه فقر المال وغناه".[٢]

ولا مانع من أن يقال إن المراد غنى القلب وغنى المال، وهو ما ذهب إليه ابن عاشور حين قال: " وقد أغناه الله غناءين: أعظمهما غنى القلب؛ إذ ألقى في قلبه قلة الاهتمام بالدنيا، وغنى المال، بما هيأ لك من المضاربة في مال خديجة – رضي الله عنها– ".[٣]

وقال الراغب الأصفهاني: "قوله – تعالى–: ﴿الأنفال الأعراف الأنفال﴾ قيل: عنى بذلك الغني بالكفاية والغني بالقناعة معاً".[٤]

وحذف المفعول في الأفعال الثلاثة (فآوى، فهدى، فأغنى)؛ للعلم بها من ضمائر الخطاب قبلها، وحذفها إيجاز، وفيه رعاية على الفواصل.[٥]

وقيل: ليدل على سعة الكرم، والمراد: آواك وآوى لك وبك، وهداك ولك وبك، وأغناك ولك وبك. [٦]

قلت: يجوز أن يكون حذف المفعول لكل ما ذكر، أي لظهور المراد، ولرعاية الفواصل، وللدلالة على سعة الكرم.

*****

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٩١)
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٤٩٤)
(٣) التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٠٠) بتصرف.
(٤) تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٤٢)
(٥) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٧٤)، الكشف والبيان (١٠/ ٢٢٩)، روح المعاني (١٥/ ٣٨٢)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٠٠)
(٦) روح المعاني (١٥/ ٣٨٢)

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بالرحمات، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بالإيمان وعمل الصالحات.

وبـعد ...

فقد كشفت هذه الدراسة عن العديد من النتائج التي كان منها ما يلي:

١- لم يثبت حديث صحيح في خصوص فضل سورة الضحى.

٢- سورة الضحى ليس فيها ناسخ ولا منسوخ.

٣- سورة الضحى كلها خالصة للنبي ﷺ ، كلها نجاء له من ربه، وتسرية وتسلية وترويح وتطمين. ومعظم مقصود السّورة: بيان ما للرّسول ﷺ من الشرف والمنقَبَة.

٤- من المنح الإلهية لخير البرية ﷺ أن الله – تعالى- أقسم في مطلع سورة الضحى على ما أنعم به على نبيه ﷺ وعلى أنه ما ودعه وما قلاه.

٥- الراجح أن المراد بالضحى: وقت الضحى، وليس النهار كله.

٦- في التعبير باسم الرب في قوله – تعالى-: ﴿بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ ما يشعر بدوام اللطف والرعاية التامة؛ إذ المربي لا يهجر من يربيه ولا يبغضه، بل يحبه على الدوام ويقربه.

٧- من المنح الإلهية لخير البرية ﷺ: ما وعده ربه – جل وعلا – في قوله – تعالى-: ﴿ ﴾ .

٨- حمل قوله – تعالى-: ﴿ ﴾ على ظاهره من خيري الدّنيا والآخرة معا أولى؛ إذ كل آجل أمره خير من عاجله في الدارين، فآخرته خير من أولاه، وعاقبة أمره أحسن من بدايته.

٩- من المنح الإلهية لخير البرية ﷺ: ما وعده ربه – تعالى- من العطاء الذي يرضيه، وذلك في قوله: ﴿ ﴾.

١٠- **قيل:** إن آية: ﴿ ﴾ هي أرجى آية في كتاب الله.

١١- الأولى حمل قوله –تعالى-: ﴿ ﴾ على العموم حتى يشمل كل ما يرضي رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة.

١٢- من المنح الإلهية لخير البرية: إيواؤه ﷺ في يتمه، وهو ما ورد في قوله – تعالى-: ﴿ ﴿ ﴿سُورَةُ الفَاتِحَةِ﴾ ﴾.

١٣- من بدع التفاسير في قوله – تعالى-: ﴿ ﴿ ﴿سُورَةُ الفَاتِحَةِ﴾ ﴾: أن معناه: ألم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فآواك.

١٤- **لله – تعالى- في يتم محمد ﷺ حكمة يريدها سبحانه،** ويتفضل بها على رسوله الأمين ﷺ، حيث يشير إلى أن محمدا ﷺ ولد في رعاية الله – تعالى-، فبرغم يتمه إلا أن الله أحاطه بالإيواء الشامل، فأحبه كل من رآه، بدءا بمراضعه ومرورا بمن شاركهم في طفولته وشبابه ورجولته.

١٥- من المنح الإلهية لخ البرية: هدايته ﷺ من ضلاله، وهو ما ورد في قوله – تعالى-: ﴿البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ﴾.

١٦- الراجح في قوله – تعالى-: ﴿البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ﴾ أنه كقوله – تعالى-: ﴿ ﴿ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله﴾[1]؛ إذ المراد أنه ﷺ لم يكن يعرف تفصيل الشريعة وفروعها حتى بعثه الله، ولكنه ما كفر بالله، ولا أشرك به؛ لأنه كان معصوما من ذلك قبل النبوة وبعدها.

١٧- من المنح الإلهية لخير البرية: إغناؤه ﷺ بعد فقره، وهو ما ورد في قوله – تعالى-: ﴿الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ﴾.

وبعد: فهذا جهدي – جهد المقل – فإن كان من توفيق فبفضل الله وتوفيقه، وإن كانت الأخرى فمن نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله لنفسي، وأعوذ به من نزغات الشيطان، وأسأله – تعالى- العفو والغفران.

﴿الوَاقِعَةِ المُجَادِلَةِ المُجَادَلَةِ الحَشْرِ المُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الجُمُعَةِ المُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ المُلْكِ القَلَمِ الحَاقَّةِ المَعَارِجِ نُوحٍ الجِنِّ المُزَّمِّلِ المُدَّثِّرِ القِيَامَةِ الإِنْسَانِ المُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الانْفِطَارِ المُطَفِّفِينَ الانْشِقَاقِ البُرُوجِ الطَّارِقِ الأَعْلَى الغَاشِيَةِ الفَجْرِ البَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحَى الشَّرْحِ التِّينِ العَلَقِ القَدْرِ﴾[2]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة الشورى، من الآية: ٥٢
(٢) سورة البقرة، من الآية: ٢٨٦

*****

فهرس المصادر والمراجع

أولا: كتب التفسير وعلوم القرآن:

١- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.
٢- أحكام القرآن، لابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٤- أسرار ترتيب القرآن، للسيوطي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.
٥- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٦- إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، الطبعة : الرابعة، ١٤١٥ هـ.
٧- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
٨- بحر العلوم، لنصر بن محمد السمرقندي، بدون بيانات.
٩- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ
١٠- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي، الناشر: الدكتور حسن زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ.
١١- البرهان فى تناسب سور القرآن، لابن الزبير الغرناطي، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف . المغرب، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م
١٢- البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.
١٣- بشير اليسر شرح ناظمة الزهر في علم الفواصل للشيخ عبد الفتاح القاضي، طبع على نفقة الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية، مطابع مؤسسة دار الشعب، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م

١٤- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادى، تحقيق: محمد النجار، نشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.
١٥- بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول]، لعبد القادر بن ملا حويش، مطبعة الترقي – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٥ م.
١٦- البيان في عدّ آي القرآن، لأبي عمرو الداني، تحقيق: غانم قدوري، مركز المخطوطات والتراث – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م
١٧- التبيان في أقسام القرآن، لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
١٨- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لابن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.
١٩- التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، تحقيق: د. عبد الله الخالدي.
٢٠- تفسير ابن فورك – من أول سورة نوح إلى آخر سورة الناس –، لابن فورك، دراسة وتحقيق: سهيمة بنت محمد بخاري (ماجستير)، نشر: جامعة أم القرى – السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ – ٢٠٠٩ م.
٢١- تفسير الأستاذ الإمام محمد عبده لفاتحة الكتاب وجزء عم، كتاب الجمهورية، يصدر عن دار التحرير للطبع والنشر بالقاهرة.
٢٢- تفسير الإمام ابن عرفة، لابن عرفة، تحقيق: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية – تونس، الطبعة: الأولى، ١٩٨٦ م.
٢٣- التفسير البياني للقرآن الكريم، لعائشة عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ، دار المعارف – القاهرة، الطبعة: السابعة
٢٤- التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]، لمحمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣ هـ.
٢٥- تفسير الراغب الأصفهاني – المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة–، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب – جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.
٢٦- تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زَمَنِين، تحقيق: حسين عكاشة، ومحمد الكنز، الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
٢٧- تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ.
٢٨- تفسير القرآن، للسمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
٢٩- التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة.

٣٠- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، لأبي منصور الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م
٣١- تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.
٣٢- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية، ١٤١٨ هـ.
٣٣- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف: د. مصطفى مسلم، نشر جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.
٣٤- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، للنسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
٣٥- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) – (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م).
٣٦- تفسير جزء عم، لابن عثيمين، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.
٣٧- تفسير عبد الرزاق، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.
٣٨- تفسير مجاهد، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م.
٣٩- تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ.
٤٠- جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
٤١- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي تحقيق: أحمد البردوني وأطفيش، دار الكتب المصرية– القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.
٤٢- جمال القراء وكمال الإقراء، للسخاوي، تحقيق: د. مروان العطيَّة – د. محسن خرابة، دار المأمون للتراث – دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م .
٤٣- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي، تحقيق: محمد معوض، وعادل عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
٤٤- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، لشهاب الدين الخفاجي، دار صادر – بيروت.

٤٥- حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، لأحمد الصاوي المالكي، اعتنى به وراجعه: نجيب الماجدي، وأحمد عوض أبو الشباب، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.
٤٦- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد الخراط، دار القلم، دمشق.
٤٧- الدر المنثور، للسيوطي، دار الفكر – بيروت.
٤٨- روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، جمع: طارق عوض الله، دار العاصمة – السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢- ٢٠٠١ م.
٤٩- روح البيان، لإسماعيل حقي، دار الفكر – بيروت.
٥٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي، تحقيق: علي عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
٥١- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
٥٢- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للخطيب الشربيني، مطبعة بولاق (الأميرية)– القاهرة، ١٢٨٥هـ.
٥٣- شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ.
٥٤- على طريق التفسير البياني، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر ناشرون وموزعون، الأردن، عمان، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.
٥٥- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.
٥٦- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لمحمد صديق القِنّوجي، راجعه: عَبد الله الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢م.
٥٧- فتح القدير، للشوكاني اليم، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.
٥٨- فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، لابن الجوزي، دار البشائر – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى – ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م.
٥٩- في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ هـ.
٦٠- الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، ليوسف الهُذَلي، تحقيق: جمال الشايب، مؤسسة سما، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
٦١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

٦٢- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م.
٦٣- لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.
٦٤- لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ضبطه وصححه: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
٦٥- اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.
٦٦- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمى، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى – القاهرة، الطبعة: ١٣٨١ هـ.
٦٧- محاسن التأويل، للقاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ
٦٨- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني، وزارة الأوقاف المصرية–المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة: ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م.
٦٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، تحقيق: عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
٧٠- المدخل لدراسة القرآن الكريم، لمحمد أبو شُهبة، مكتبه السنة – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.
٧١- مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، لمحمد بن عمر الجاوي، تحقيق: محمد الصناوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ.
٧٢- المضامين التربوية المستنبطة من سورة الماعون وتطبيقاتها التربوية في الأسرة – بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، كلية التربية. إعداد / جابر مشبب القحطاني.
٧٣- معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، لعبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى، ١٤٢٠ هـ.
٧٤- معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة : الأولى، ١٤٢٠ هـ.
٧٥- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
٧٦- معاني القرآن، للفراء، تحقيق: أحمد النجاتي / محمد النجار / عبد الفتاح إسماعيل، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى.

٧٧- معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
٧٨- معجم القراءات، د. عبد الكريم الخطيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م.
٧٩- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، للرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.
٨٠- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.
٨١- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، لابن حزم، تحقيق: د. عبد الغفار البنداري، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.
٨٢- الناسخ والمنسوخ، لهبة الله بن سلامة المقري، تحقيق: زهير الشاويش ، محمد كنعان، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ.
٨٣- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، تحقيق : علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية].
٨٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٨٥- النكت والعيون، للماوردي، تحقيق: السيد عبد المقصود، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.
٨٦- الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب، مجموعة رسائل جامعية بجامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، نشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
٨٧- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي، تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
٨٨- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض، د. أحمد صيرة، د. أحمد الجمل، د. عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٥ هـ ١٩٩٤م.

ثانيا: **كتب الحديث وعلومه**:

١- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ.

٢- تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، المكتب الاسلامي - مؤسسة الإشراق، الطبعة: الثانية- مزيده ومنقحة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٣- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، للزيلعي، تحقيق: عبد الله السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ
٤- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، لابن عراق الكناني، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف ، عبد الله الغماري، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩ هـ.
٥- الجامع الكبير – سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨م.
٦- السنن الكبرى، للنسائي، تحقيق: حسن شلبي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٧- شعب الإيمان، للبيهقي، تحقيق: د. عبد العلي حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
٨- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٩- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٠- الضعفاء الكبير، للعقيلي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار المكتبة العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
١١- الضعفاء والمتروكون، لابن الجوزي، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.
١٢- الضعفاء، لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: فاروق حمادة، دار الثقافة – الدار البيضاء، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٤م
١٣- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، لابن الجوزي، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، نشر: إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
١٤- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العينى، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد عبد الباقي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.
١٦- الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي، للمناوي، تحقيق: أحمد مجتبى، دار العاصمة – الرياض.

١٧- فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، للسخاوي، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
١٨- الفردوس بمأثور الخطاب، للديلميّ، تحقيق: السعيد زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
١٩- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، للشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٠- فيض الباري على صحيح البخاري، المؤلف: محمد أنور شاه الهندي، تحقيق: محمد الميرتهي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢١- الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، تحقيق: عادل عبد الموجود-علي معوض، عبد الفتاح أبو سنة، الكتب العلمية - بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ١٩٩٧م.
٢٢- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة، تحقيق: كمال الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.
٢٣- كشف الخفاء ومزيل الإلباس، للعجلوني، المكتبة العصرية، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٢٤- اللآليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، للسيوطي، تحقيق: أبو عبد الرحمن عويضة، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.
٢٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.
٢٦- مستخرج أبي عوانة، لأبي عوانة الإسفراييني، تحقيق: أيمن الدمشقي، دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
٢٧- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
٢٨- مسند البزار (البحر الزخار)، للبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)
٢٩- المعجم الأوسط، للطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة.
٣٠- مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا، للسيوطي، تحقيق: سمير القاضي، مؤسسة الكتب الثقافية- دار الجنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
٣١- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

٣٢- الموضوعات، لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن عثمان، نشر: محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى، جـ ١، ٢: ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م جـ ٣: ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
٣٣- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، تحقيق: علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م.

ثالثا – كتب الفقه وأصوله:

١- الاختيار لتعليل المختار، لعبد الله بن محمود الحنفي، تحقيق : عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة : الثالثة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
٢- البحر الرائق شرح كنز الدقائق- لزين بن إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
٣- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع- للكاساني، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٢م
٤- الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، للماوردي، تحقيق : علي معوض - عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة : الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩ م .
٥- شرح منتهى الإرادات- لمنصور البهوتي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٦م
٦- الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل لابن قدامة، تحقيق/ زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الخامسة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
٧- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل، لابن قدامة، دار الفكر، بيروت، الأولى ١٤٠٥هـ.
٨- المهذب في فقه الإمام الشافعي- لأبي إسحاق الشيرازي، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

رابعا- كتب الأعلام والتاريخ والسير:

١- أحوال الرجال، للجوزجاني، تحقيق: عبد العليم البَستوي، نشر: حديث أكادمي - فيصل آباد، باكستان.
٢- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، للفاكهي، تحقيق: د. عبد الملك دهيش، الناشر: دار خضر - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ.
٣- الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.
٤- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، للمقريزي، تحقيق: محمد النميسي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

٥- البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م.
٦- تذكرة الحفاظ (أطراف أحاديث كتاب المجروحين لابن حبان)، لابن القيسراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.
٧- تلخيص المتشابه في الرسم، للخطيب البغدادي، تحقيق: سُكينة الشهابي، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٩٨٥م.
٨- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٢٦هـ
٩- الخصائص الكبرى، للسيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت.
١٠- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للبيهقي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥هـ.
١١- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، للصالحي، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.
١٢- سير أعلام النبلاء، للذهبي، دار الحديث- القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
١٣- السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، للحلبي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية - ١٤٢٧هـ.
١٤- السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة ، بيروت - لبنان، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.
١٥- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، لمحمد أبو شُهبة، دار القلم - دمشق، الطبعة: الثامنة - ١٤٢٧ هـ.
١٦- السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، لأحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
١٧- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، للزرقاني، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
١٨- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، دار الفيحاء - عمان، الطبعة: الثانية - ١٤٠٧ هـ.
١٩- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، للزرقاني، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
٢٠- سير أعلام النبلاء، للذهبي، دار الحديث- القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٢١- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، للصالحي، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

٢٢- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للبيهقي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٠٥هـ.
٢٣- الخصائص الكبرى، للسيوطي، دار الكتب العلمية – بيروت.
٢٤- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لابن حبان، تحقيق: محمود زايد، دار الوعي – حلب، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦هـ.
٢٥- معجم المؤلفين، لعمر بن رضا كحالة، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٦- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، للقسطلاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر.
٢٧- لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٣٩٠هـ /١٩٧١م.
٢٨- فقه السيرة، لمحمد الغزالي، دار القلم – دمشق، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ.

خامساً كتب اللغة والمعاجم:

١- تاج العروس من جواهر القاموس، للزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٢- تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
٣- جمهرة اللغة، لمحمد بن الحسن الأزدي، تحقيق: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
٤- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لابن عقيل، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة، الطبعة: العشرون ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م.
٥- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، لخالد بن عبد الله الوقاد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
٦- شرح الكافية الشافية، لابن مالك الطائي، تحقيق: عبد المنعم هريدي، نشر: جامعة أم القرى، الطبعة: الأولى.
٧- شرح تسهيل الفوائد، لابن مالك الطائي، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. المختون، هجر للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.
٨- غريب الحديث، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني – بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧هـ.

٩- كتاب الأفعال، لابن القَطَّاع الصقلي، عالم الكتب، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
١٠- كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
١١- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت،الطبعة: الثالثة١٤١٤هـ.
١٢- مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
١٣- المخصص، لابن سيده، تحقيق: خليل جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
١٤- مشارق الأنوار ، للقاضي عياض، المكتبة العتيقة ودار التراث.
١٥- المصباح المنير، للفيومي، المكتبة العلمية – بيروت.
١٦- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام، تحقيق: د. مازن المبارك، محمد حمد الله، دار الفكر – دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥م.
١٧- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوى – محمود الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

سادساً: كتب عامة:

١- تلبيس إبليس، لابن الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيرزت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
٢- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، لابن قيم الجوزية، دار المعرفة، المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

*****

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	رقم الصفحة
المقدمة.....	١٥
التمهيد: في التعريف بالسورة الكريمة.....	١٧
المبحث الأول: القسم له ﷺ على أن ربَّه ما ودَّعه وما قلاه.	٣٢
المبحث الثاني: جعل الآخرة خيرا له من الأولى.....	٤٤
المبحث الثالث: وعده ﷺ بالعطاء الرباني الذي يرضيه....	٤٨
المبحث الرابع: إيواؤه ﷺ في يتمه.....	٥٦
المبحث الخامس: هدايته ﷺ من ضلاله.....	٦٤
المبحث السادس: إغناؤه ﷺ بعد فقره.....	٧٣
الخاتمة.....	٧٨
فهرس المصادر والمراجع.....	٨٠
فهرس الموضوعات.....	٩٢